

T.C
MARMARA ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENİSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLRİ (ARAPÇA) BİLİM DALI

**KELAMCILARDA NAKLİ İSTİDLAL
METODOLOJİSİ
(CEHENNEM ATEŞİNİN EBEDİLİĞİ ÖRNEĞİ)**
Yüksek Lisans Tezi

Hanan HAMZEH

İSTANBUL-2022

T.C
MARMARA ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENİSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ (ARAPÇA) BİLİM DALI

**KELAMCILARDA NAKLİ İSTİDLAL
METODOLOJİSİ
(CEHENNEM ATEŞİNİN EBEDİLİĞİ ÖRNEĞİ)**
Yüksek Lisans Tezi

Hanan HAMZEH

Danışman
Doç.Dr. Muhammed COŞKUN

İSTANBUL-2022

الملخص

الاسم واللقب: حنان حمزة

القسم: العلوم الإسلامية

البرنامج: العلوم الإسلامية الأساسية باللغة العربية

المشرف: الدكتور محمد جوشكون

نوع وتاريخ الرسالة: رسالة ماجستير، 2022م

الكلمات المفتاحية: فناء النار، قطعي، نقلي، الخلود، العذاب، بقاء النار.

منهجية الاستدلال النقلي عند المتكلمين

(مسألة بقاء النار نموذجاً)

هذه الرسالة تهدف إلى دراسة استقرائية للآيات القرآنية التي تتحدث عن أحوال الكافرين يوم القيامة، ووصف جهنم وعذابها، وذلك من خلال دراسة أقوال المفسرين فيها. وبما أنها مسألة عقديّة يتناولها العلماء في باب السمعيات فلا بد من دراسة مناهج الاستدلال التي اتخذها كل من القائمين ببقاء النار أو فنائها، ثم لا بد من التنويه إلى أنّ استقراء الآيات القرآنية التي تتحدث عن حال الكافرين يوم القيامة في هذا البحث لم يكن تاماً؛ بل كان متوقفاً على ما ارتكزوا عليه أثناء الاستدلال من الآيات، كما أنه:

1. تمحور هذا البحث حول كتب التفسير؛ وكان الارتكاز على الكتب التي اعتمد

عليها الخاضعون في هذا المسألة، وعلى كتب المتكلمين من المفسرين.

2. تم مناقشة المسائل العقدية التي تتعلق بهذا البحث من خلال الرجوع إلى كتب علم

الكلام.

3. تم التطرق إلى كتب اللغة عند تناول بعض المصطلحات المتعلقة بهذه المسألة.

4. تم محاولة تحليل المناهج، والنظر في مدى قطعية دليل كل من الفريقين.

ÖZET

Adı ve Soyadı: Hanan HAMZEH
Anabilim Dalı: Temel İslam Bilimleri
Program: Temel İslam Bilimleri (Arapça)
Tez Danışmanı: Doç.Dr. Muhammed COŞKUN
Tez Türü ve Tarihi: Yüksek lisans 2022
Anahtar Kelimeler: Ateşin faniliği, Kat'i/Nakli delili, Hulud, Azap, Ateşin Ebediliği/Devamlılığı.

Kelamcılarda Nakli İstidlal Metodolojisi (Cehennem Ateşinin ebediliği Örneği)

Bu tez, inkârcıların kıyamet günündeki durumlarından söz eden ve cehennem azabını niteleyen âyetlerin tümevarımsal bir yöntemle ve klasik tefsir bilginlerinin görüşleri üzerinden incelenmesini hedeflemektedir. Konu kelam ilminin semiyat bahislerine dahil olduğu için, bu çalışmada cehennemin ebediliğini ya da faniliğini savunan tarafların her ikisinin de benimsedikleri çıkarım/istidlal yöntemlerinin incelenmesi gerekmektedir. Bu bağlamda tarafların inkârcıların kıyamet günündeki durumlarından söz eden ayetler hakkındaki tümevarımsal değerlendirmelerini incelemenin yeterli olmayacağı, aksine onların istidlal yöntemlerinin anlaşılması için bu istidlal esnasında dayandıkları ilkelerin tespit edilmesinin gerekli olduğu açıktır. Öte yandan:

1. Bu araştırma tefsir literatürünün yanı sıra kelam eseri veren müfessirlerin bu konuları ele aldıkları kelam metinlerini de kapsamaktadır.
2. Araştırma alanına giren kelam bahisleri, kelam metinleri üzerinden tartışılmıştır.
3. Konuyla ilgili terminoloji söz konusu olduğunda dilbilim literatürüne başvurulmuştur.
4. Son olarak, tarafların delillerinin ne ölçüde kesinlik arz ettiği incelenmiş, yöntemleri analiz edilmiştir.

ABSTRACT

Candidate: Hanan HAMZEH
Department: Basic Islamic Sciences
Program: Basic Islamic Sciences (Arabic)
Supervisor: Assoc. Prof. Muhammed COŞKUN
Type of the Thesis: M. A. Thesis 2021
Keywords: Reasoning, Perishability, Definitive, Transductive, remaining of fire

The methodology of transductive reasoning at the theologians.

(The matter of remaining of fire)

This thesis aims to analyze the verses that talk about the situation of the deniers on the Day of Judgment and describe the torment of hell, with an inductive method and through the views of classical commentators. Since the subject is included in the Semiyat bets of the science of Kalam, in this study, it is necessary to examine the inference/deduction methods adopted by both the parties advocating the eternity or mortality of hell. In this context, it is clear that it will not be enough to examine the inductive evaluations of the parties about the verses that talk about the situation of the deniers on the Day of Judgment, on the contrary, it is necessary to determine the principles on which they are based during this induction in order to understand their induction methods. On the other hand:

1. This research includes not only the Tafsir literature, but also the Kalam texts in which the commentators who wrote the Kalam work deal with these issues.
2. Kalam bets, which are included in the research area, are discussed over the Kalam texts.
3. Linguistics literature was consulted when it comes to terminology related to the subject.
4. Finally, the accuracy of the evidence of the parties was examined and their methods were analyzed.

الاختصارات والرموز

- ط: الطبعة
- ج: الجزء
- ص: الصفحة
- هـ: سنة هجرية
- م: سنة ميلادية
- ت: المتوفى
- مج: مجلد
- د.ت: بدون تاريخ
- د.ط: بدون طبعة
- (()): توضع للدلالة على الاقتباس داخل الكلام المنقول سواء كان الكلام حديثاً نبوياً شريفاً، أو أثراً عن صحابي جليل أو تابعي، أو عائداً لمرجع آخر.
- (..): النقط: للدلالة على وجود كلام محذوف.

الإهداء

إلى أمي الفاضلة وأبي الحليم

إلى إخوتي وزوجي الكريم

إلى قرة العين (أحمد بشير)

المحتوى

3.....	المقدمة
3.....	1. أهداف الرسالة:
3.....	2. إشكالية البحث
4.....	3. الغاية من البحث:
4.....	4. الدراسات السابقة:
5.....	الفصل الأول: دعوى فناء النار وأدلتها ومناقشتها
6.....	1. القائلون بفناء النار وتحرير أقوالهم في هذه المسألة
6.....	1.1 الجهمية:
7.....	1.2 أبو الهذيل العلاف:
10.....	1.3 ابن عربي
16.....	1.4 ابن تيمية
25.....	1.5 ابن قيم الجوزية:
28.....	1.6 المعاصرون
39.....	2. الأدلة النقلية التي استدل بها القائلون بفناء النار مع وجه الدلالة ومناقشتها
39.....	2.1 الآيات التي استدلو بها على استثناء الكفار من العذاب
61.....	2.2 الآيات التي فيها ذكر التأييد
66.....	2.3 الآيات التي استدلو بها على شمولية رحمة الله للكافرين
69.....	2.4 الآيات التي فيها نفي معنى الخروج من النار
71.....	3. الأدلة العقلية المستندة على الأدلة النقلية في فناء النار ومناقشتها
72.....	3.1 الحكمة والمشية
75.....	3.2 مسألة إخلاف الوعيد
78.....	الفصل الثاني: دعوى بقاء النار وأدلتها ومناقشتها
79.....	1. القائلون ببقاء النار وتحرير أقوالهم في هذه المسألة
79.....	1.1 الفرق القائلة ببقاء النار من المسلمين

1.2	الأشخاص الذين ذكروا هذه المسألة، وألفوا فيها.	89
2.	الأدلة العقلية التي استدلت بها القائلون ببقاء النار مع وجه الدلالة ومناقشتها.	97
2.1	الآيات التي فيها ذكر الخلود.	100
2.2	الآيات التي فيها ذكر وصف عذاب الكافرين، واللعن، والطرء.	103
3.	الأدلة العقلية المستندة على الأدلة العقلية في بقاء النار، ومناقشتها.	108
3.1	الثواب والعقاب.	108
3.2	العدل والفضل.	110
الفصل الثالث : مفارقات بين مناهج الفريقين في الاستدلال		
1.	مفارقات في قواعد التفسير.	113
1.1	مراعاة السياق.	113
1.2	مراعاة المعنى اللغوي للكلمات القرآنية، وتعدد دلالاتها.	116
2.	مفارقات في مناهج التفسير.	118
2.1	كيفية الجمع بين النصوص والآثار في المناهج السابقة.	118
2.2	كيفية الجمع بين أسماء الله تعالى وصفاته في المناهج السابقة.	121
الخاتمة		
1.	النتائج.	124
2.	المقترحات.	126
المراجع		
		128
		129

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الآيات التي تتحدث عن جزاء المؤمنين، والكافرين يوم القيامة، وتحدث عن الحياة الآخرة كثيرة جداً، بحيث إنه قد لا يخلو جزء من القرآن الكريم منها، تلك الحياة التي هي الحيوان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾¹، وهذه الآيات على كثرتها، ووضوحها في الحديث عن الخلود تدعو من يسمع بالقول بفناء النار إلى التعجب، وحته على البحث عن مدعيات هذا القول، وأسبابه وحيثياته، وهذا ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، والبحث في منهجية الأقوال الواردة في هذا الموضوع، وحول الآيات التي تتناول مسألة بقاء النار، والخلود، والتأييد.

1. أهداف الرسالة:

- أ. استقراء الآيات القرآنية التي تدور حول مسألة بقاء النار، والنظر في كيفية تفسير العلماء لها.
- ب. دراسة الدلالة اللغوية والاصطلاحية لهذه النصوص، وآليات ترجيح العلماء للدلالات.
- ج. التطرق لعلاقة علم الكلام بالتفسير من خلال البحث في كيفية تناول الآيات القرآنية للمسائل العقدية.

2. إشكالية البحث

إن إشكالية هذا البحث قد تجلت في دراسة أدلة الأقوال المختلفة في هذه المسألة، والتي دفعت بعض العلماء لأقوال قد تخالف منهجهم في الاستدلال، وبالتالي كان لا بد من البحث في الطرق التي استدعت ذلك.

¹ سورة العنكبوت: الآية (64).

3. الغاية من البحث:

وبما أن هذه المسألة تُعلم بما ورد فيها من أدلة سمعية قطعية الثبوت قطعية الدلالة، اختص البحث بالآيات القرآنية الواردة في هذا المجال، وكيفية تفسير العلماء لها، ولا سيما المتكلمين منهم لما في هذه الآيات من علاقة بعلم الكلام، فسأقوم خلال هذا الدراسة بالتأكيد على حساسية هذه المسألة لكونها تتعلق بالجزاء الأخروي الإلهي، فقاعدة الحسن والقبح الشرعي التي تميز بها أهل السنة والجماعة عن غيرهم من الفرق الإسلامية - وخاصة المعتزلة الذي أوجبوا على الله تعالى أموراً بما يوافق قاعدة الصلاح والأصلح - تتعلق بشكلٍ أو بآخر بهذه المسألة، كما سأحاول التأكيد على ضرورة التوقف في الحديث عن موجبات الحكمة الإلهية، وموجبات الرحمة الإلهية، على ما قد بيّنه الشرع دون ما يرضي العقل البشري.

4. الدراسات السابقة:

- أ. اليوم الآخر- الجنة والنار، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس.
- ب. الجنة والنار والآراء فيهما، فيصل عبد الله، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير.
- ت. الخلود في جهنم، مُحمَّد عبد الخالق كاظم، المركز العالمي للدراسات الإسلامية.
- ث. خلود الجنة والنار، إبراهيم طوبراك، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير.
- ج. مسألة خلود الجحيم كمشكلة في التفسير، جاهد قره ألب، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير.

إن ما يميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة هو اختصاصها بجهنم، والحيثية التي تم بها الحديث عن هذه المسألة، فتم تناول هذه المسألة العقدية من خلال دراسة المناهج وتحليلها ضمن نطاق الاستدلال النقلي.

الفصل الأول: دعوى فناء النار وأدلتها ومناقشتها

1. القائلون بفناء النار وتحرير أقوالهم في هذه المسألة

1.1 الجهمية:

وهم "أصحاب جهنم بن صفوان"¹، وهو من الجبرية الخالصة، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء منها قوله: إن حركات أهل الخُلْدِين تنقطع، والجنة والنار تفتيان بعد دخول أهلها فيهما وتلذذ أهل الجنة بنعيمها، وتألّم أهل النار بحميمها، ويفنى أهلها حتى يكون الله موجوداً لا شيء معه كما كان موجوداً لا شيء معه، إذ لا تتصور حركات لا تتناهى آخرًا، كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولاً، فلا يجوز أن يخلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، وأخذ ذلك من قوله عز وجل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾² فشكك الناس، ولَبَسَ على الجاهل تأويل القرآن من غير تأويله، وحمل قوله تعالى: ﴿خُلْدِينَ فِيهَا﴾³ على المبالغة والتأكيد، دون الحقيقة في التخليد؛ كما يقال: خَلَدَ الله ملك فلان، واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى: ﴿خُلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾⁴ فالآية اشتملت على شريطة واستثناء؛ والخلود والتأييد لا شرط فيه ولا استثناء. وهذا ردُّ ما اتفق المسلمون عليه، ونقلوه نصّاً، وهو مما تفرد به، وقال المسلمون كلُّهم إلا جهماً: إن الله يخلد أهل الجنة في الجنة، ويخلد الكفار في النار"⁵.

¹ "أبو مُحَرِّزِ الرَّاسِبِيِّ مَوْلَاهُم، السَّمَرْقَنْدِيُّ، الكاتب، المتكلم، أَسُّ الضَّلَالَةِ، وَرَأْسُ الْجَهْمِيَّةِ، كَانَ صَاحِبَ ذِكَاةٍ وَجِدَالٍ، وَقِيلَ إِنَّ سَلْمَ بْنَ أَحْوَزَ قَتَلَ الْجَهْمَ لِإِنْكَارِهِ أَنَّ اللَّهَ كُلُّهُ مُوسَى" ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ-2006م، ج6، ص204.

² سورة الحديد: الآية (3).

³ سورة هود: الآية (107).

⁴ سورة هود: الآية (107).

⁵ ينظر: أ. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، قدم له وعلق عليه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري يطلب من مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة المعارف ببيروت، 1388هـ-1968م، ص140.

ب. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ضبطه وعلق عليه: كسرى صالح العلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، 1436هـ-2015م، ط1، ص104-105.

ج. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن بن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ-2009م، ص90، ص164.

"وكان ظهور الجهم في أيام ظهور واصل بن عطاء، وقد أنكر الاستطاعات كلها وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفتيان، وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز."¹

"ومنهم صنف زعموا: أن الجنة والنار لم يخلقهما الله بعد، وأنهما تفتيان بعد خلقهما؛ فيخرج أهل الطاعة من الجنة بعد دخولها إلى الحزن بعد الفرح، والغم بعد السرور، والشقاء بعد الرخاء، جميع أهل الجنان من الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإن الجنة تخرب بعد عمارتها حتى تصير رميماً لا أحد فيها.

ويخرج أهل النار بعد دخولها فيصير إلى الفرح بعد الحزن، وإلى السرور بعد الغم، وإلى الرخاء بعد الشقاء، جميع أهل النار من الأبالسة والفراعنة والكافرين، وإن النار تخرب بعد عمارتها حتى تحقق أبوابها، وليس فيها أحد، فيُصرف ثواب الله عن أوليائه وعقابُ الله عن أعدائه. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً"².

يظهر مما سبق عدم وضوح نظرة الجهمية إلى هذه المسألة، فإذا كان مصير أهل الجنة الخروج من الجنة وخرابها، وتبدل حالهم من السرور إلى الغم ومن الرخاء إلى الشقاء، وكذلك مصير أهل النار الخروج من النار وخرابها وتبدل حالهم من الشقاء إلى الرخاء، فأنى يكون ذلك وقد فنت الداران وخربت، ثم ما الدليل على تبدل أحوال أهل الجنة والنار ذلك إن صح الدليل على فنائهما والذي هو موضوع البحث.

1.2 أبو الهذيل العلاف:

أما أبو الهذيل³ من المعتزلة فقد نفى وجود أفعال لا نهاية لها، "كأنه لو سلم ببقاء

¹ ينظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن مُجَدِّد البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1434هـ-2013، ط5، ص16، ص158-159.

² التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسن الملقبي، ص97.

³ "أبو الهذيل مُجَدِّد بن الهذيل البصري العلاف صاحب التصانيف، كان قد أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء الغَزَّال، وقال بأن علم الله سبحانه هو الله، وقدرته هي هو، وأن لما يقدر الله عليه نهاية وآخر وأن للقدرة نهاية لو خرجت إلى الفعل؛ فإن خرجت لم تقدر على خلق ذرة أصلاً، وهذا كفر وإلحاد.

وطال عمر أبي الهذيل وجاوز التسعين وانقلع في سنة سبع وعشرين ومائتين، ويقال: بقي إلى سنة خمس وثلاثين."

ينظر: أ. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج8، ص529.

الحركات إلى ما لا نهاية لانتقض دليل حدوث العالم عنده، فهو بذلك يجمع بين الرأيين عنده، وهما: القول بحدوث العالم، والقول بخلود أهل الجنة والنار، وذلك بانقطاع حركات أهل الجنة والنار، فينتهون إلى السكون، ويبقى لأهل الجنة لذاتهم، ولأهل النار عذابهم مع عدم الحركات، وكأنه ظن أن ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون"¹.

فزعم أبو الهذيل "أن نعيم الجنة، وعذاب النار ينتهي بحيث إن حركات² أهل الجنة تسكن، حتى لا ينطقون بكلمة، وأن لسائر أفعال القديم سبحانه آخرًا، لا يوصف الله بالقدرة إذا فعله ووقع منه على قليل الأفعال ولا على كثيرها؛ ولا يصح حينئذ الرغبة إليه ولا الرهبة منه، لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضرر.

قال: ويبقى أهل الجنة خموداً سكوتاً، لا يفيضون بكلمة، ولا يتحركون بحركة، ولا يلتذون بلذة، ولا يقدرّون ولا ربحهم على شيء من ذلك، لأن الحوادث زعم كما لا بد لها من أول تنتهي إليه لم يكن قبله شيء، فكذلك لا بد لها من آخر تنتهي إليه لا يكون بعده شيء"³.

"وقوله في هذا الباب شر من قول من قال بفناء الجنة والنار، كما ذهب إليه جهم، لأن جهماً وإن قال بفنائهما فقد قال بأن الله عز وجل قادر بعد فنائهما على أن يخلق أمثالهما، بينما أبو الهذيل يزعم أن ربه لا يقدر بعد فناء مقدوراته على شيء"⁴.

يتبين مما سبق أن محاور الدعوى تتجلى في:

ب. الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص 89.

¹ ينظر: أ. أبو الهذيل العلاف أول متكلم إسلامي تأثر بالفلسفة، علي مصطفى الغرابي، مطبعة حجازي، مصر، 1369هـ-1949م، ط 1، ص 65-66.

ب. الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني، ص 78.

² في المصدر (حرمان).

³ ينظر: أ. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م، ط 1، ص 290-291.

ب. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج 8، ص 529.

ج. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ص 99.

⁴ ينظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص 85.

- أولاً: في كيفية الجمع بين القولِ بحدوث العالم واستحالة وجود حوادث لا بداية لها، ووجود دائري خلودٍ، وكذلك وجودِ مقدوراتٍ لله سبحانه لا نهاية لها.
- ثانياً: في تحديد مدى قطعية دلالة بعض الآيات على الخلود، كآية الاستثناء في سورة هود وغيرها.



1.3 ابن عربي.

هو "أبو بكر مُحمَّد بن علي، من قبيلة حاتم الطائي¹ والمعروف باسم (ابن عربي) وبألقاب (محيي الدين)، و(الشيخ الأكبر) و(ابن أفلاطون)²، امتاز في تصوفه بإعلائه اللافت لدور الخيال وأهميته، واحتفائه بالتأويل وأسلوب الرمز والإيحاء، ويؤسس ابن عربي نظريته إلى الدين على أساس من التسامح والسعة التي قد تتجاوز بعض القيود التي يضعها الفقهاء وعلماء الرسوم —على حد وصفه— ويخلص من هذا إلى أن الأصل في الإنسان الكمال، وأن الفطرة السليمة لا تقود إلا إلى عبادة الخالق العظيم الذي أوجد الأشياء، وهو عينها، وهذه العبادة تتأسس على الحب، قبل كل شيء، فكما لا موجود حقيقة إلا الله فلا محبوب ولا معبود حقيقة إلا هو سبحانه، لأنه أهل لهذا الحب وهذه العبادة دون سواه؛ وانطلاقاً من هذا يعمم الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء، وينفي سرمدية الشقاء والعذاب، قائلاً: ((وهل يؤبد شقاء من هو في يمين الحق؟ لا والله))³؛ ويجعل من هذا الحب ديناً له، بما يجعل قلبه المليء إيماناً و يقيناً ومحبة ورحمة، متسعاً لكل ألوان العباد وصور العبادة⁴.

والعبد في فكر ابن عربي هو صورة قد تجلت عن الحق، "فلولا سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان للعالم وجود"⁵، وإن كان كذلك فسيكون للجزاء معنى مختلف، وفي هذا القول

¹ ولد أبو بكر في مدينة مُرسية سنة 560هـ-1165م، في عهد خلافة المستنجد في المشرق، دخل الحياة الصوفية سن الحادية والعشرين، فكان جميع ما يصنفه، أو يقوم به، أو يدعو إليه هو إلهام، رأى أو مكاشفات وتجليات، زادت مؤلفاته على مائتين وثمانين كتاباً ورسالة، توفي عام 638هـ، ودفن بالصالحية على سفح جبل قاسيون في دمشق".

ينظر: أ. ابن عربي حياته ومذهبه، أسين بلاثيوس، ترجمه عن الإسبانية عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت لبنان، 1979م، ص5، ص85.

ب. في لغة القصيدة الصوفية، مُحمَّد علي الكندي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، 2010م، ط:1، ص65-66.

² ابن عربي حياته ومذهبه، أسين بلاثيوس، ص5.

³ الفتوحات المكية، أبو بكر محيي الدين الحاتمي المعروف بابن عربي، تقديم: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1999م، ط1، ج4، ص283.

⁴ ينظر: في لغة القصيدة الصوفية، الكندري، ص72-73.

⁵ ينظر: فصوص الحكم، أبو بكر محيي الدين الحاتمي المعروف بابن عربي، شرح: عبد الرزاق القاشاني، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م، ط1، ج1، ص55.

جبرية ضمنية لازمة للقول بوحدة الوجود الوارد عن ابن عربي.

فقد قال في كتابه الفتوحات المكية:

"لو صح الفعل من الممكن لصح أن يكون قادراً، ولا فعل له فلا قدرة له، فإثبات القدرة للممكن دعوى بلا برهان"¹.

"لقد تحدد ضمن النظرة الجبرية في الأخلاق الصوفية عند ابن عربي معنى خاص للشواب والعقاب، يتمشى ويتناسق مع نظريته في وحدة الوجود، ففي مذهبه يُعتبر الإنسان أبهى تجلٍ لله، لا من حيث ذاته ولكن من حيث صفاته وأسمائه، وعليه فظهور معصية من المعاصي يكون بفعل ما اقتضته طبيعته وما أمر به الله وقضى أن يكون، ومن ثمة يجب أن يوصف بأنه مجرد فعل فقط؛ فالفعل الإنساني لا يوصف بالشر والقبح، والذم والخير، والحسن والقبول؛ وبالتالي أنه معصية أو طاعة إلا عندما يقاس بالمقاييس الدينية والأخلاقية المرتبطة بالأوامر التكليفية الوجودية، فأوصاف الفعل الإنساني عارضة إذاً، والمعصية والضلال عارضان ف((كما كان الضلال عارضاً كذلك الغضب الإلهي عارض، والمآل إلى الرحمة التي وسعت كل شيء، وهي السابقة))².

ومن هنا نجد أن النتيجة الضرورية التي يصل إليها ابن عربي هي نفي الجزاء بالمعنى الديني عن الفاعل، فالعباد سواء كانوا من أهل النار أو من أهل الجنة، فإن مآلهم جميعاً إلى النعيم وإن اختلف نعيم أهل الجنة عن نعيم أهل النار؛ إذ يكون نعيم أصحاب الجحيم برداً وسلاماً على أهلها كما كانت برداً وسلاماً على الخليل"³.

ولا يخفى أنه من الضروري لمن أراد أن يقرأ في كتب ابن عربي أن يعرف مذهبه في الأسباب التي يقع بها العلم بالحقائق عند الإنسان؛ فهي بالإضافة إلى الثلاثة المتفق عليها - الحواس السليمة، والعقول المستقيمة، والأخبار الصادرة عن الصدق⁴ - الأحوال التي يُتوصل

¹ الفتوحات المكية، ابن عربي، ج1، ص70.

² فصوص الحكم، ابن عربي، ج1، ص106.

³ ينظر: ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي، محمد العدلوني الإدريسي دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م، ط2، ص75-76.

⁴ التمهيد لقواعد التوحيد، أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ط1، ص41.

إليها بالذوق، فتلك "لا يقدر عاقلٌ على أن يحدّها ولا يقيّم على معرفتها دليلاً"¹، وذلك حسب ما بيّنه ابن عربي في مقدمة كتابه الفتوحات المكية، وبالتالي قسّم العقيدة إلى أقسامٍ بحسب هذه المراتب؛ قسّم فيه عقيدة العوام من أهل الإسلام أهل التقليد وأهل النظر ملخصةً، يتلوه قسّم مقتصد مذيّل بالأدلة وقد سماه (برسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم)، يتلوه قسّم فيه عقيدة خواص أهل الله وهو لأهل طريق الله من المحققين أهل الكشف والوجود، وأما ما سماه عقيدة الخلاصة فهي مبددة في أبواب الكتاب وهي لمن رزقه الله الفهم فيها لم يفرداها على التعيين لما فيها من الغموض²؛ وفي ذلك إشارةً إلى القول بالتفسير الإشاري، والبحث وراء الكلمات، وفك الرموز، وهو مذهب ابن عربي في جعل الكلام له ظاهراً وباطناً؛ فالظاهر يأخذ حكم الكلام في أصوله المعروفة، وأما الباطن فهو خفيٌّ عن العوام وخاص بأهل الكشف والإلهام، وعلى هذ النحو يشرع ابن عربي في شرح العقيدة، ويتفاوت التفصيل فيها حسب المراتب التي ذكرها وذلك في مؤلّفٍ واحد؛ حيث يكتشف القارئ عاميته بالقدر الذي هو عليه من العلم، وأما عقيدة الخواص فقراءتها ليست إلا محاولة عزوٍ للأحوال التي قد تجلّت مجردةً عن المقاييس.

وبالنظر إلى موضوع البحث فقد فصل محيي الدين رأيه في هذه المسألة حسب المنازل التي خصصها، حيث أنه ذكر بدايةً عند بيان عقيدة العوام أن "الجنة حق، والنار حق، وفريقاً في الجنة وفريقاً في النار حق، وكرب ذلك اليوم حق على طائفة، وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر، وشفاعة الملائكة، والنبين، والمؤمنين، وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق، والتأييد للمؤمنين والموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق، والتأييد لأهل النار في النار حق"³، ثم ذكر فيما سماه المعرفة؛ وهي عقيدة خواص أهل الله، في الباب الحادي والستين منها، وهو في معرفة جهنم وأعظم المخلوقات فيها عذاباً، ومعرفة بعض العالم العلوي قوله:

"اعلم عصمنا الله وإياك أن جهنم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة..."

¹ الفتوحات المكية، ابن عربي، ج1، ص54.

² ينظر: الفتوحات المكية، ابن عربي، ج1، ص65.

³ الفتوحات المكية، ابن عربي، ج1، ص65.

وسميت جهنم لبعدها قعرها، يقال: بئر جهنم إذا كانت بعيدة القعر، وهي تحوي على حرور وزمهير، ففيها البرد على أقصى درجاته، والحرور على أقصى درجاته.

واختلف الناس في خلقها هل خلقت بعد أم لم تخلق؟ والخلاف مشهور فيها، وكل واحد من الطائفتين يحتج فيما ذهب إليه بما يراه حجة عنده، وكذلك اختلفوا في الجنة، وأما عندنا وعند أصحابنا أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين، فأما قولنا مخلوقة فكل رجل أراد أن يبني داراً فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال: قد بنى داراً فإذا دخلها لم ير إلا سوراً دائراً على فضاء وساحة، ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت وغرف... وما ينبغي أن يكون فيها مما يريده الساكن أن يجعل فيها من الآلات التي تستعمل في عذاب الداخل فيها، وهي دار حرورها هواء محترق لا جمر لها سوى بني آدم، والأحجار المتخذة آلهة، والجن لهبها، قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾¹، وقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾²، وقال تعالى: ﴿فَكَبْكَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾³، وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجن، والإنس الذين يدخلونها... فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم أعادنا الله وإياكم منها، من صفة الغضب الإلهي، ولا يكون ذلك إلا عند دخول الخلق فيها من الجن والإنس متى دخلوها، وأما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها، ولا نفس ملائكتها...⁴.

وفي ذلك بيان أن جهنم إنما هي دار سُكنى المشركين، وليست دار عذابٍ في أصلها، إنما يسعّرها أعمال سكائها، وبالتالي فالعذاب يكون بحسب هذه الأعمال، يقول ابن عربي: "وقد رأيت عجباً وعلمت في أحوال مخاصمتهم حيث يختصمون في الجحيم، وأن ذلك الخصام هو نفس عذابهم في تلك الحال، وأن عذابهم في جهنم ما هو من جهنم، وإنما جهنم دار سكناهم، وسجنهم، والله يخلق الآلام فيهم متى شاء، فعذابهم من الله، وهم محل له"⁵. ثم يشرع ابن عربي في بيان مراتب أهل النار والمفارقة بينها وبين مراتب أهل الجنة، وأنهم

¹ سورة البقرة: الآية (24).

² سورة الأنبياء: الآية (98).

³ سورة الشعراء: الآية (94-95).

⁴ ينظر: الفتوحات المكية، ابن عربي، ج1، ص448-449.

⁵ الفتوحات المكية، ابن عربي، ج1، ص451.

إنما يعذبون بقدر أعمالهم، فإنه تعالى لم يشترط عذاب من في جهنم وإنما اشترط ملأها، حيث يقول: "فبهذا القدر يقع الاشتراك بين أهل الجنة، وأهل النار للتساوي في عدد الدرج والدرك، ويقع الامتياز بأمر آخر، وذلك أن النار امتازت عن الجنة بأنه ليس في النار دركات اختصاص إلهي، ولا عذاب اختصاص إلهي من الله، فإن الله ما عرّفنا قط أنه اختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا أنه يختص برحمته من يشاء وبفضله، فالجنة في نعيمها مخالف لميزان عذاب أهل النار، فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير، وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم، وبغير أعمالهم في جنات الاختصاص، وجنات الميراث، يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾¹ فهذه الجنة حصلت لهم بطريق الورث من أهل النار الذين هم أهلها، إذ لم يكن في علم الله أن يدخلوها، ولم يقل في أهل النار أنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنة لو دخلوا النار، وهذا سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه، فما نزل من نزل في النار من أهلها إلا بأعمالهم ولهذا يبقى فيها أماكن خالية، وهي الأماكن التي لو دخلها أهل الجنة عمروها، فيخلق الله خلقاً يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنة تعذبوا وهو قوله ﷺ: ((فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط)) أي حسبي حسبي، فإنه تعالى يقول لها: هل امتلأت؟ فتقول: ﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾² فإنه قال للجنة والنار: لكل واحدة منكما ملؤها، فما اشترط لهما إلا أن يملأها خلقاً، وما اشترط عذاب من يملأها بهم ولا نعيمهم³.

يظهر مما سبق أن ابن عربي يرى أن النار ليست دار عذاب إنما دار سكنى، وبالتالي بعد انقضاء مدة من العذاب تتناسب مع أعمال الكافرين، يفقد أهل النار شعورهم بالألم؛ وذلك لأن رحمة الله تعالى سبقت غضبه، وجهنم مخلوقة من صفة الغضب آلامها، وأما وجودها فهو من الرحمة الإلهية، فقد قال ابن عربي: "وقد بينا لك أمر جهنم من حيث ما هي دار"⁴، "اختص بآلام أهلها صفة الغضب الإلهي، واختص بوجودها التنزل الرحماني الإلهي"⁵، "ولا بد لأهل النار من فضل الله، ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل، فيفقدون

¹ سورة مريم: الآية (63).

² سورة ق: الآية (30).

³ ينظر: الفتوحات المكية، ابن عربي، ج 1، ص 456-457.

⁴ الفتوحات المكية، ابن عربي، ج 1، ص 453.

⁵ ينظر: الفتوحات المكية، ابن عربي، ج 1، ص 453.

الإحساس بالآلام في نفس النار لأنهم ليسوا بخارجين من النار أبداً فلا يموتون فيها ولا يحيون، فتتخدر جوارحهم بإزالة الروح الحساس منها.

وثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المَدَد بين العذاب، والعمل نعيماً خيالياً مثل ما يراه النائم، وجلده كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ¹﴾؛ هو كما قلنا خدرها، فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلام لأنه إذا انقضى زمان الإنضاج خمدت النار في حقهم، فيكونون في النار كالأمّة التي دخلتها، وليست من أهلها، فأماهم الله فيها إماتة فلا يحسون بما تفعله النار في أبدانهم².

إن ابن عربي لم يقل بفناء النار، ولا بفناء مقدرات الله تعالى، إلا أنه قال بخروج النار عن حقيقتها، وتبدل حالها بعد فترة زمنية تتناسب مع أعمال أهلها، فيتحول العذاب إلى لذة خيالية، ويمكن تلخيص المسألة بنقاط هي:

- أولاً: إن جهنم دار سكنى، والآلام ليست من ماهيتها، فهي عارضة يخلقها الله تعالى حينما يدخل أهل النار فيها، ولا يُشترط من وجود النار وجود العذاب.
- ثانياً: إن جنهم مخلوقة من الرحمة الإلهية شأنها شأن كل المخلوقات في هذا الوجود، وأما آلامها فهي مخلوقة من صفة الغضب الإلهي.
- ثالثاً: إن مدة العذاب فيها تتناسب وأعمال الكافرين.
- رابعاً: إن رحمة الله سبقت غضبه، وبالتالي لا بد للآلام من نهاية؛ لأنها من صفة الغضب، ولأن أفعال العباد محدودة، فالنعيم، واللذة الخيالية هي البديل، وهي الجزء الخالد لأهل النار.
- خامساً: إن المرجح لتبدل حال النار هو كون الإنسان غير مستحق للعذاب لأنه صورة عن الحق، فالجبرية الضمنية التي ذكرت سابقاً هي وراء القول بتبدل الآلام نعيماً.

¹ سورة النساء: الآية (56).

² الفتوحات المكية، ابن عربي، ج1، ص457-458.

1.4 ابن تيمية.

هو "أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن مُحمَّد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية¹، تقي الدين أبو العباس الحرَّاني الحنبلي نزيل دمشق"²، وقد ثبت له فيما يخص هذا البحث تصنيفٌ ابتدأه بقوله: "مسألة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار، وذكر اختلاف الناس في دار الجزاء بالعقاب، ودار الثواب بالإنعام، وللناس في ذلك ثلاثة أقوال:

قوم قالوا بفنائهما جميعاً، وقوم قالوا ببقائهما جميعاً، وقوم قالوا: بفناء دار الجزاء، وبقاء دار الإفضال، والإنعام، والإكرام"³، وردَّ فيه ابن تيمية القولَ الأول؛ وهو القول بفناء الجنة والنار، وكفَّر أصحاب هذا القول⁴، ثم قال بعد ذلك: "وهذه الأقوال، والكلام عليها مبسوسة في غير هذا الموضع، والمقصود هنا في فناء⁵ الجنة والنار، فقد تبين أن القول بفناء الجنة لم يُعرف عن أحد من السلف، ولا الأئمة، وإنما هو قول جهم، ونحوه، وقد عُرف فساده عقلاً، ونقلًا"⁶،

¹ "ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وهاجر والده به وبإخوته إلى الشام عند جور التتار، عُني بالحديث، وتعلم الخط والحساب في المكتب وحفظ القرآن، ثم أقبل على الفقه، وبرع في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً، وأحكم أصول الفقه، وله خبرة تامة بالرجال، وجرحهم، وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بعنون الحديث، وبالعالي، والنازل، وبالصحيح، والسقيم، سافر إلى مصر فسجن فيها ثم سافر إلى دمشق واعتقل بها وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، فخرجت دمشق كلها في جنازته" ينظر: أ. ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، شمس الدين الذهبي، تحقيق: خالد بن سليمان بن علي الربيعي، الرسالة العلمية، بريدة، 1433هـ، ص53-66.

ب. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، 2002م، ط15، ج1، ص144.

² ينظر: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، شمس الدين الذهبي، ص53-54.

³ ينظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: مُحمَّد بن عبد الله السمهري، دار بلنسية، الرياض، 1415هـ-1995م، ط1، ص41.

⁴ ينظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص42.

⁵ ذكر المحقق أنه قد كتب بالأصل بعد لفظة (في) كلمة (بقاء) وأشار فوقها إلى أنها هكذا في نسخة أخرى، ولكن بقية الكلام في الأصل متسق مع لفظ (فناء) فأثبتته، ينظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، تحقيق: مُحمَّد بن عبد الله السمهري، ص52.

⁶ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص52.

ويفهم من هذا النص مراد المؤلف من رسالته؛ إذ ليست الغاية تحرير الأقوال في مسألة فناء الجنة، وإنما في مسألة فناء النار، وبيان وجه اختلافها عن فناء الجنة، حيث إنه يقول: "وأما القول بفناء النار: ففيها قولان معروفان عن السلف والخلف، والنزاع في ذلك معروف عن التابعين، ومن بعدهم"¹، فالقول بفناء النار محتملٌ وورادٌ عنده، إلا أن السؤال قد يرد في حيثية الفناء؛ أتفنى النار دار العذاب، أم يفنى سكانها وتحقق أبوابها، أم يفنى عذابها، فيعقب بقوله: "لكن قد يقال: إنهم لم يريدوا بذلك أنهم يخرجون مع بقاء العذاب فيها على غير أحد، بل يفنى عذابها، وهذا هو معنى فنائها"²، واستشهد بيضع آثار على قوله، منها:

ذهب ابن تيمية إلى تأويل الآثار الواردة في حق أهل النار بأنها تشمل الكفار لا غير، ففي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا لِّمَعْشَرِ الْجَنَّةِ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَلُكُمْ خُلْدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾³، قال: "وقد قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: ((إن هذه الآية تقتضي أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا ناراً))"⁴، قال ابن تيمية: "(فأولياؤهم من الإنس) لفظ يدخل فيه الكفار قطعاً، فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين"⁵؛ فحمل الآية على أنها واردة في حق الكفار دون العصاة، قال: "وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة"⁶، وبناء على ذلك فإنه ذهب إلى أن الاستثناء يدل على دفع العذاب عن الكفار، قال: "فدل على أن هذا الاستثناء عنده يقتضي دفع

¹ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص52.

² الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص53.

³ سورة الأنعام: الآية (128).

⁴ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص60. وقد ذكره الطبري في تفسيره قال: "حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَلُكُمْ خُلْدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ قال: ((إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه؛ لا ينزلهم جنة ولا ناراً)). ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، 1422هـ-2001م، ط1، ج9، ص557-558.

⁵ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص58.

⁶ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص58.

العذاب عنهم، وهذا مدلول الآية، وأنه لأجل هذه الآية يجب أن يُتوقف، فلا يُحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً..¹، وجعل دلالة القرآن على هذا المعنى دلالة نص، واستشهد بأثر آخر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وحمله أيضاً على الكفار؛ وليس في الآثار نص على أن النار تفنى بمن فيها، أو أن عذابها يفنى، أو أنه يأتي زمان على الكفار لا يذوقون فيه العذاب؛ إنما وردت هذه الآثار لتفسير الآيات الواردة في بيان حال النار يوم القيامة؛ ولا يخفى أن يوم القيامة مشاهد، ومواقف.

والأثر الذي ذكره عن ابن مسعود رضي الله عنه لم يفصل بين تفسيره والأثر الذي ذكره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "فعن عبد الله بن مسعود قال: ((ليأتين على جهنم زمان، ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً، وهؤلاء هم الكفار، وعن أبي هريرة مثله))"²، ثم أتبعه بتفسير البغوي³ - فقد ذكر الأثر نقلاً عن البغوي-، قال: "((قال البغوي: ومعناه عند أهل السنة - إن ثبت - ألا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان))"⁴، وأنى للبغوي أن يجعل الأثر الوارد عن ابن مسعود رضي الله عنه في أهل الإيمان لو كان ابن مسعود رضي الله عنه قد صرح بأنهم الكفار، وقد رد ابن تيمية على قول البغوي بقوله: "فيقال: إنهما لم يريدوا ذلك، فإنهما قالوا بعدما يلبثون فيها

¹ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 60.

² الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 61.

وهو في تفسير البغوي بهذا اللفظ: "وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله"، ينظر: معالم التنزيل، المعروف بتفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، 1411هـ، ج 4، ص 202.

³ البغوي: "هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، صاحب التصانيف، ك(شرح السنة)، و(معالم التنزيل)، و(المصابيح)، و(كتاب التهذيب في المذهب)، والجمع بين الصحيحين، والأربعين حديثاً.. وكان البغوي يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان سيداً، إماماً، عالماً، علامة، وكان له القدم الراسخ في التفسير، والباع المديد في الفقه، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها. توفي بمرور الروذ -مدينة من مدائن خراسان- في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة، ودفن بجانب شيخه القاضي حسين، وعاش بضعا وسبعين سنة رحمه الله تعالى"، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 14، ص 328-329.

⁴ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 61.

وهو في تفسير البغوي بهذا اللفظ: "ومعناه عند أهل السنة إن ثبت: أن لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان، وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً"، ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ج 4، ص 202.

أَحْقَابًا، وهؤلاء هم الكفار المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَابًا (22) لِّبَنِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لَا يَدْخُلُون فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا (25) جَزَاءً وَفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (28)﴾¹؛ وهذا وصف الذين كذبوا بآيات الله ﴿كَذَابًا﴾ أي تكذيباً، فهو تكذيب مؤكد بالمصدر، ولم أجد نقلاً مشهوراً عن أحد من الصحابة يخالف ذلك..² وبغض النظر عن أن ابن تيمية قد زعم عدم وجود نقلٍ مخالفٍ لما وصل إليه؛ إلا أن استدلاله على أن الآيات قد وردت في الكافرين ليس معتمداً على النقل، وإنما هو اجتهاد، وليس منسوباً لأحد كما اشتهر عنه.

وذكر ابن تيمية في هذا السياق أيضاً نقلاً عن البغوي، قال: "روى السدي عن مرة، عن عبد الله، قال: ((لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا))"³. ونقل أثراً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عن عبد بن حميد في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّبَنِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾⁴؛ قال: "وقد روى عبد بن حميد -وهو من أجل علماء الحديث- في تفسيره المشهور، قال: أنا سليمان بن حرب، أنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن البصري، قال: قال عمر: ((لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عاجل، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه))."

وقال: أنبأ حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، أن عمر بن الخطاب قال: ((لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عاجل، لكان لهم يوم يخرجون فيه))⁵؛ وهذا يبين أن

¹ سورة النبأ: الآيات ما بين (21-28).

² الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 61-62.

³ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 62.

وهو في تفسير البغوي بهذا اللفظ: "روى السدي عن مرة عن عبد الله، قال: ((لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصي الدنيا لحزنوا))"، ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ج 8، ص 315.

⁴ سورة النبأ: الآية (23).

⁵ ذكر محقق الرسالة أنه: "جاء بهامش الأصل مقابل هذا ما نصه ((رواة هذا الأثر أئمة ثقات، والحسن سمعه من بعض التابعين، والله أعلم))." ينظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الله السمهري ص 53.

مثل هذا الشيخ الكبير من علماء الحديث والسنة يروي عن مثل هؤلاء الأئمة في الحديث، والسنة مثل سليمان بن حرب، الذي هو من أجل علماء السنة، والحديث، ومثل حجاج بن منهال في كلامهما عن حماد بن سلمة مع جلالته في العلم، والسنة، والذي يروي من وجهين: من طريق ثابت، ومن طريق حميد هذا عن الحسن البصري الذي يقال أنه أعلم من بقي من التابعين في زمانه، يرويه عن عمر بن الخطاب، وإنما سمعه الحسن من بعض التابعين فسواء كان هذا قد حفظ هذا عن عمر، أو لم يحفظ، كان مثل هذا الحديث متداولاً بين هؤلاء العلماء الأئمة لا ينكرونه، وهؤلاء كانوا ينكرون على من خرج عن السنة من الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والجهمية.¹

ثم قال: "ليبين قول من قال: الأحقاب لها أمد ينفذ، ليست كالرزق الذي ما له من نفاذ، ولا ريب أنه من قال هذا القول، قول عمر، ومن نقله عنه، إنما أرادوا بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها. فأما قوم أصيبوا بذنوب، فأولئك قد علم هؤلاء، وغيرهم، بخروجهم منه، وأنهم لا يلبثون فيها قدر رمل عاج، ولا قريباً من ذلك"²، فحمل ابن تيمية الأثر على أنه في حق الكفار وليس في حق العصاة دون ريب، وزعم وجود فريقٍ قائلٍ بنفاذ العذاب، واستناد هذا الفريق على قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وهو لم يقل بذلك، ثم قال: "فهم لا يخرجون منها، - يعني - جهنم، بل هم خالدون في جهنم كما أخبر الله سبحانه وتعالى. لكن إذا انقضى أجلها، وفنيت كما تفنى الدنيا، لم يبق فيها عذاب، وذلك أن العالم لا يعدم، وجهنم في الأرض، والأرض لا تعدم بالكلية ولكن فناؤها بتغير حالها، واستحالتها من حال إلى حال... وهم لا يعدمون، بل يموتون، ويهلكون..³

نعم، قد استند ابن تيمية على عدة آثار في الاستدلال، إلا أن النتيجة التي خرج بها ليس بينها وبين تلك الآثار - إن صحت - صلة، بل إن القول بأن الكفار يموتون، ويهلكون يدعو للتوقف، والرجوع إلى صريح الآيات القرآنية، كقوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ

¹ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 53-55.

² الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 55.

³ ينظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 56.

نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ¹.

ثم قال: "وقد استفاض عن غير واحد من السلف تقدير الحقب بحد معدود، والأحقاب جمع حقب"²، وجعل المراد من الأحقاب جمع العدد الذي قُدِّرَ، مع أن الآثار الواردة في هذا السياق واضحة في الدلالة على أن المراد من الأحقاب علمه عند الله تعالى، وأن هذا المعنى المقدر للحقب هو من باب التقريب، وأن الأحقاب ليس فيها عدد إلا الخلود، قال: "وعن هشام، وعن الحسن البصري³ أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿لَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾"⁴، فقال: ((الله أعلم بالأحقاب فليس فيها عدد إلا الخلود، ولكنه بلغنا أن الحقب الواحد: سبعون ألف سنة، كل يوم من تلك الأيام كآلف سنة مما تعدون)).

وعن هشام، عن الحسن قال: ((الأحقاب لا يدري أحد ما هي؟ ولكن الحقب الواحد: سبعون ألف سنة، اليوم منها كآلف سنة مما تعدون))، وقوله: الله أعلم ما الأحقاب، ولا يدري ما هي؟ يقتضي أن لها عدداً الله أعلم به، ولو كانت لا عدد لها لعلم كل أحد أنه لا عدد لها..⁵؛ فبينما الأثر واضح في الدلالة على أن الأحقاب ليس لها عدد، وينفي ما يخالف الخلود؛ استشهد ابن تيمية به على فناء النار، ثم ذكر أن الناس قد اختلفوا في الأحقاب على قولين: أحدهما أنها محدودة مقدرة، والآخر أنها ليست مقدرة؛ إلا أن الناظر في الأقوال التي ذكرها في الفريقين تصب في نفس المعنى وهو أن الكفار خالدين في عذاب جهنم؛ وإنما قد يكون المراد تبدل أنواع العذاب، وقد يكون خروج العصاة من النار..، فلا شيء من الأقوال

¹ سورة فاطر: الآية (36).

² الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 62.

³ وقد ذكر الطبري في تفسيره الأثر الأول عن سالم، عن الحسن، والأثر الآخر عن هشام، عن الحسن، قال: "حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثني عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، عن سالم، قال: سمعت الحسن يُسأل عن قول الله: ﴿لَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، قال: ((أما الأحقاب فليس لها عدّة إلا الخلود في النار، ولكن ذكروا أن الحقب الواحد سبعون ألف سنة، كل يوم من تلك الأيام السبعين ألفاً، كآلف سنة مما تعدون)).

قال الطبري: حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن الحسن في قوله: ﴿لَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، قال: ((أما الأحقاب فلا يدري أحد ما هي، وأما الحقب الواحد فسبعون ألف سنة، كل يوم كآلف سنة)). ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 24، ص 25-26.

⁴ سورة النبأ: الآية (23).

⁵ ينظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 62-63.

التي ذكرها عن السلف -إن صحت- يخالف البقاء ويدل على فناء النار كما زعم¹.
وتناول كذلك بعض الآثار الواردة في قوله تعالى في سورة هود: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾²، عن تفسير الطبري³:
"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾⁴، فقرأ حتى بلغ: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾⁵، قال: فأخبرنا الذي يشاء لأهل الجنة؛ فقال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾⁶، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار"⁷.
قال ابن تيمية: "وحيث فيحتج على فنائها بالكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة -مع أن القائلين ببقائها ليس معهم كتاب، ولا سنة، ولا أقوال الصحابة-"⁸.
إلا أن الباحث يرى أن الطبري الذي روى عنه ابن تيمية في تفسيره للآيات السابقة، قد ذكر آثاراً في أن الاستثناء هو في أهل التوحيد؛ يخرجهم الله من النار إذا شاء بعد أن أدخلهم فيها، كما أن الطبري قد رجح هذا الوجه⁹.

¹ ينظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 63-65.

² سورة هود: الآية (107).

³ ابن جرير الطبري: "هو الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، من أهل آمل طبرستان، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، وكان من أفراد الدهر علماً، وذكاءً، وكثرة تصانيف. استقر في أواخر أمره ببغداد، وقال الخطيب: (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، كان أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله)، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله كتاب (التفسير) لم يصنف مثله.. قال أحمد بن كامل: (توفي ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مائة، ودفن في جاره برحبة يعقوب -يعني: ببغداد-). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 11، ص 165-174.

⁴ سورة هود: الآية (107).

⁵ سورة هود: الآية (108).

⁶ سورة هود: الآية (108).

⁷ ينظر: أ. الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 67. ب. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 12، ص 582-583، واللفظ له.

⁸ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 67.

⁹ ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 12، ص 579-584.

وختم ابن تيمية استدلاله بالآثار بما ذكره عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - "وقال حرب الكرماني، عن إسحاق بن راهويه، ثنا عبيد الله بن معاذ، ثنا أبي، ثنا شعبة، عن أبي بلج، سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: ((ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها، ليس فيها أحد)). وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً"¹.

وكذلك ما نقله عن ابن جرير الطبري، وهو كما ورد في تفسيره²: "حدثت عن المسيب، عن ذكره، عن ابن عباس: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾"³: ((لا يموتون، ولا هم منها يُخرجون، ما دامت السماوات والأرض، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾"⁴، قال: استثنى الله، قال: يأمر النار أن تأكلهم)).

قال: وقال ابن مسعود: ((ليأتين على جهنم زمان تحفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً))"⁵.

وبذلك يتبين مما سبق أن الأقوال الواردة عن السلف التي تحدث عنها ابن تيمية في بداية مؤلفه ليست إلا قوله هو في تأويل تلك الآثار، وليس فيها نصٌّ على تبدل حال النار، أو فنائها، أو موت وهلاك الكفار؛ وقد يكون هذا ما يفسر عدم ورود هذا القول عن أحد من العلماء المتقدين استناداً على الآثار المزعومة أنها واردة في فناء النار منذ عصر الصحابة إلى عصر ابن تيمية، وكذلك فإن نفي ابن تيمية وجود دليل في القرآن الكريم، أو السنة، أو أقوال الصحابة على بقاء النار، يدعو للاستفهام عن حكمه على من قال ببقاء النار.

والناظر يرى أن العلماء المتقدمين الذين نقلوا قول الجهم وتفرد به بذلك، لم يفرقوا بين قوله بفناء الجنة، وقوله بفناء النار، فأنكروا قوله بكله، وعدوه مخالفاً للكتاب والسنة، ولجماعة المسلمين، ومن ذلك ما ورد في مقالات الإسلاميين: "وهذا ردُّ ما اتفق المسلمون عليه ونقلوه نصّاً، وهو مما تفرد به، وقد أكذبه الله عز وجل بكتابه، والمأثور عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقال

¹ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 69.

² المسمى (جامع البيان في تأويل آي القرآن).

³ سورة هود: الآية (107).

⁴ سورة هود: الآية (107).

⁵ ينظر: أ. الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 69. ب. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 12، ص 582، واللفظ له.

المسلمون كلُّهم إلا جهماً: إن الله يخلّد أهل الجنة في الجنة، ويخلّد الكفار في النار"¹.
ثم ختم ابن تيمية رسالته بالحديث عن الفرق بين بقاء الجنة والنار من عدة وجوه،
منها:

"أن النار لم يذكر فيها شيء يدل على الدوام، وأنه قد ثبت أنه يدخل الجنة من ينشئه في الآخرة لها، ويدخلها من دخل النار أولاً، ويدخلها الأولاد بعمل الآباء، فثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً، وأما النار فلا يعذب أحد إلا بذنوبه، فلا تقاس هذه بهذه. وأن الجنة من مقتضى رحمته ومغفرته، والنار من عذابه..، فالنعيم من موجب أسمائه التي هي من لوازم ذاته فيجب دوامه بدوام معاني أسمائه وصفاته، وأما العذاب فإنما هو من مخلوقاته، والمخلوق قد يكون له انتهاء مثل الدنيا وغيرها، لا سيما مخلوقٌ خُلِقَ لحكمة تتعلق بغيره. وأنه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء..، وهذا عموم، وإطلاق، فإذا قدّر عذاب لا آخر له، لم يكن هناك رحمة البتة.

وأنه قد ثبت مع رحمته الواسعة أنه حكيم، والحكيم إنما يخلق لحكمته العامة..، فإذا قدّر أنه يعذب من يعذب لحكمة كان هذا ممكناً..، والجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب..، والنفوس الشريرة الظالمة التي إذا رُدت إلى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نُحيت عنه لا يصلح أن تسكن دار السلام التي تنافي الكذب والظلم والشر، فإذا عذبوا بالنار عذاباً يخلص نفوسهم من ذلك الشر كان هذا معقولاً في الحكمة كما يوجد في تعذيب الدنيا، وخلق من فيها شر يزول بالتعذيب من تمام الحكمة، أما خلق نفوس تعمل الشر في الدنيا وفي الآخرة لا تكون إلا في العذاب، فهذا تناقض يظهر فيها من مناقضة الحكمة والرحمة ما لا يظهر في غيره"².

فالنار عند ابن تيمية خُلقت لتطهير الشر من النفوس يوم القيامة، فهي تتناسب ومقدار الشر في تلك النفوس، وهذا من موجب الحكمة؛ فلو كانت النار أبديةً لانتفت الحكمة الإلهية.

إن القول بوجوب إفناء النار يستلزم إيجاب فعل على الله تعالى بمقتضى الحكمة، وهذه المسألة تعود إلى أصل الثواب والعقاب من الله تعالى؛ أهو على سبيل الابتداء أم الاستحقاق،

¹ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ص 90.

² ينظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 80-83.

وإلى تحرير معنى الحكمة الإلهية.

1.5 ابن قيم الجوزية:

وأما ابن قيم الجوزية¹ فهو "شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية، وابن قيمها، لازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما عاد من الديار المصرية سنة ثنتي عشر وسبعمائة إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علماً جماً"².

والعلاقة وثيقة بين ابن تيمية، وطالبه ابن قيم الجوزية من الناحية الفكرية؛ فلا يكاد ينفصل قول ابن قيم الجوزية عن شيخه حتى في كتبه، فما ذكره بخصوص مسألة فناء النار في كتابه (حادي الأرواح)³ هو عين ما ذكره ابن تيمية في كتابه (الرد على من قال بفناء الجنة والنار) مع بعض الشرح والتفصيل.

فقد ذكر ابن قيم الجوزية في هذه المسألة سبعة أقوال، من بينها قول ابن عربي والجهمية...، وختم تلك الأقوال بما ذكره عن ابن تيمية، فقال: "السابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه تفنى ويزول عذابها"⁴، ثم ذكر أدلة الذين قطعوا بدوام النار، ورد عليهم بما يشابه رد ابن تيمية في كتابه سابقاً⁵. وبهذا يمكن اعتبار قول ابن القيم في هذه المسألة إقراراً لما ورد عن ابن تيمية، وشرحاً له، ويظهر للباحث عدة نقاط:

¹ "ولد في سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، لا سيما علم التفسير والحديث والأصولين، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية سنة ثنتي عشر وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علماً جماً، مع ما سلف له من الاشتغال، توفي صاحبنا الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، في عام إحدى وخمسين وسبعمائة ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء، وصلي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله". ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر، 1407هـ-1986م، ج14، ص234.

² ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج14، ص234.

³ وهو المسمى حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

⁴ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، علق عليه: عصام الدين الصبايطي، دار الحديث، القاهرة، 2007م-1428هـ، ص300.

⁵ ينظر: حادي الأرواح، ابن قيم الجوزية، ص299-309.

- أولاً: إن ابن تيمية قد زعم أن القول بفناء النار مستندٌ إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية، والآثار عن الصحابة والتابعين، وذلك بخالف الفريق القائل ببقاء النار؛ إلا أن استدلاله كان متوقفاً على بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين دون ذكر آيةٍ كريمةٍ أو حديثٍ نبويٍّ شريفٍ ينص على الفناء.
- ثانياً: نسب ابن تيمية القول بفناء النار إلى كثيرٍ من السلف؛ مع أن الآثار التي ذكرها عنهم -إن صحت- تصف حال النار يوم القيامة، ولا أحدٌ منهم قال بفناء النار، بل إنه في بعض ما ذكره من تلك الآثار نفى ما يمكن أن يُفهم منه انقطاع العذاب، وتأكيدُ الخلود نصاً.
- وهذا ما يفسر عدم قول أحد بهذا القول منذ عصر الصحابة إلى عصر ابن تيمية استناداً على الآثار المزعومة أنها واردة في فناء النار.
- ثالثاً: ساق ابن تيمية في بيان الفرق بين فناء الجنة والنار أدلةً عقليةً -حسب قوله-، فزعم أنه لا يمكن أن تكون النار خالدةً قياساً على حال الجنة الخالدة؛ حيث إن علة النعيم تختلف عن علة العذاب، فلا يعدَّب أحدٌ إلا بذنوبه، بخلاف النعيم الذي قد يكون بدون مقابل.
- رابعاً: إن النعيم هو من موجبات أسمائه تعالى، وصفاته، فيشترط دوامه، بخلاف العذاب، فهو مخلوقٌ كسائر مخلوقاته تعالى لا يُشترط دوامه.
- خامساً: إن فناء النار هو من موجب رحمته تعالى؛ فإذا كان هناك عذاب لا نهاية له فليس هناك رحمة ألَبَتة.
- سادساً: إن وجود عذاب لا نهاية له يخالف الحكمة؛ والنار خُلقت لحكمة، وهي تطهير النفوس من الشر لأن الجنة لا تقبل إلا طيباً، ووجود عذاب لا نهاية له مناقض للحكمة والرحمة.
- سابعاً: إن القول بوجوب إفناء النار يستلزم إيجاب فعل على الله تعالى بمقتضى الحكمة، وهذه المسألة تعود إلى أصل الثواب والعقاب من الله تعالى؛ أهو على سبيل الابتداء أم الاستحقاق.

1.6 المعاصرون.

إن المعاصرين ممن قال بفناء النار لم يكن لهم منهج مستقل في الاستدلال؛ وهذا ما دعاني لذكرهم على سبيل التعريف ضمن مطلب واحد، وعدم إفرادهم؛ لأن غاية البحث هي دراسة مناهج الاستدلال في هذا الموضوع وليس الحديث عن الأفراد.

1.6.1 محمد رشيد رضا.

محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني¹، البغدادي الأصل الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي²، وله تفسير لم يكمله تحدث فيه عن هذه المسألة، وذلك نقلاً عن ابن القيم فيما ذهب إليه، وقد أورده بنصه على طوله، وعلق عليه بقوله:

"وإنما أوردناه بنصه لأننا نعلم أن أقوى شبهات الناس من جميع الأمم على الدين قول كل أهل دين من الأديان المشهورة أنهم هم الناجون وحدهم، وأكثر البشر يعذبون عذاباً شديداً دائماً لا ينتهي أبداً، وهذا البحث جدير بأن يزيل شبهة هؤلاء فيرجع المستعدون منهم إلى دين الله تعالى مدعين لأمره ونهيه راجين رجته خائفين عقابه الذي تقتضيه حكمته لأنهم لا يعملون قدره، فما أعظم ثواب ابن القيم على اجتهاده في شرح هذا القول المأثور عن بعض الصحابة والتابعين، وإن خالفهم الجمهور الذي حملوا الخلود والأبد اللغويين في القرآن على المعنى الاصطلاحي الكلامي، وهو عدم النهاية في الواقع، ونفس الأمر، لا بالنسبة إلى تعامل الناس وعرفهم، فالعرب كانوا يعبرون بالأبد عما يبقى مدة طويلة كما صرح به الراغب في مفردات القرآن، وناهيك بتدقيقه في تحديد معاني الألفاظ، وفي حقيقة الأساس، وتقول: رزقك الله عمراً طويلاً الآباد بعيد الآماد، فهل معناه أنه ليس

¹ "ولد محمد رشيد رضا عام 1865م في القلمون، ونشأ وتعلم فيها وفي طرابلس. ونظم الشعر في صباه وكتب في بعض الصحف، قم رحل إلى مصر سنة 1315هـ فلام محمد عبده وتلمذ له، وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت، ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، من أشهر آثاره: مجلة (المنار) أصدر منها 34 مجلداً، و(تفسير القرآن الكريم) اثنا عشر مجلداً منه ولم يكمله. توفي في مصر عام 1935م، ودفن بالقاهرة. ينظر:

الأعلام، الزركلي، ج6، ص126.

² ينظر: الأعلام، الزركلي، ج6، ص126.

ينتهي؟! وهذا التفصيل قد ينفع من ذكرنا من المارقين، ولا يضر بالمؤمنين بقول الجمهور مستدلين أو مقدرين.¹

1.6.2 موسى جار الله بكيف.

ذكرت هذه المسألة لأول مرة في عالم التتار التركي من قبل شهاب الدين المرجاني القازاني²، وقام بصياغة أفكاره، ونشرها بطريقة أوسع موسى جار الله³، ففي عام 1909-1910م نشر في مجلة (شورى) رسالته التي كان لها صدى كبيراً، بعنوان (براهين الرحمة الإلهية) (Rahmet-i İlahiyye Bürhanları)، وألحقها برسالة أخرى عام 1911م بعنوان (نظرة على عقائد الناس الإلهية) (İnsanların Akide-i İlahiyyelerine Bir Nazar)⁴.

وبالنظر إلى أن بكيف كان تابعاً لمحمد عبده وتعلم له، فقد ابتدأ كتابه بنفس الطريقة التي

¹ ينظر: تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، د.ط، ج 8، ص 86.

² هو "هارون بن بهاء الدين المرجاني القازاني، شهاب الدين: ولد عام 1818م، وهو فقيه حنفي من أهل قازان في روسيا رحل إلى سمرقند وبخارى في صباه، له كتب عدة منها: عقيدة شهاب الدين. توفي عام 1889م". ينظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002م، ج 8، ص 59-60.

³ أصله من قرية كيكيينو في جنوب روسيا، ولد موسى جار الله في مدينة نوفوتشركاسك عام 1875م، وبدأ دراسته في مدينة روستوف وكان عدد المسلمين فيها قليلاً، وفي عام 1895م هاجر إلى بلدة ما وراء النهر، وأكمل دراسته في مدارس بخارى، ثم قصد اسطنبول لطلب العلم. بدأ بالهندسة إلا أنه توجه إلى العلوم الإسلامية، وفي سبيل ذلك سافر إلى مصر، وهناك تتلمذ على يد محمد عبده، ومحمد رشيد، وتأثر بالفكر الإصلاحية والتجديدي للإسلام، سافر إلى عدة مدن، وتعلم العربية والفارسية، ونشر مقالات في روسيا عن التجديد والإصلاح في السياسة، ونشر عام 1909م في مجلة شورى مقالة بعنوان (براهين الرحمة الإلهية) (Rahmet-i İlahiyye Bürhanları)، وتصدى علماء الدين للرد عليه، وأنشأ مطبعة باللغة العربية في برلين، وكتب أبحاثاً عن الشيعة منها: (الوشية في نقد الشيعة). توفي موسى في القاهرة عام 1949م، ودفن في العفيف في مقبرة الخديوية. ينظر: TDV İslam Ansiklopedisi دائرة المعارف الإسلامية التركية، أحمد قانلي دره، وقف الديانة التركية، مج 31، ص 214-216.

⁴ ينظر: مقالة أكاديمية بعنوان MUSA CARULLAH BİĞİ ve MUSTAFA Sabri Efendi'nin Cehennem Azabının Ebediliği Meselesine Yaklaşımları Üzerine Bir Değerlendirme، مصطفى دمير، تأويلات، مجلة العلوم الإسلامية في جامعة سلجوق، 2020م، ص 2-5.

استشهد بها محمد رشيد رضا سابقاً بأن كل دين يرى أصحابه أنهم الناجون، وأن الفرق الأخرى خالدون مؤبدون في العذاب، وأن الذي يرحم لمدة قصيرة ثم يعذب إلى الأبد هل يمكن وصفه بأنه أرحم الراحمين، أو حتى بأنه رحيم¹.

ثم شرع يحتج لقوله بشمولية رحمة الله تعالى بالآيات الكريمة، وابتدأها بما يحتج به المتكلمون على أبدية العذاب، فقال:

إن آيات العذاب في القرآن الكريم مقيدة بمشيئة الله تعالى كقوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾²، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾³، فقد قيد العذاب بمشيئته تعالى، وأطلق الرحمة، وبالتالي فإن رحمة الله التي وسعت كل شيء ستشمل كل الناس، ولن يُحرم أحدٌ منها، ولن يُخلد أحدٌ في النار بدلالة كلمة (كل) وكلمة (شيء) على الاستغراق، وأما أن الرحمة قد أُتبعَت بقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾⁴ فلا يدل على تخصيص الرحمة كما فهم منهم علماءنا الروس، والمتكلمون، فالحكم العام لا يقيد الحكم العام؛ إذ لا بد للتخصيص من المخالفة، ولا مخالفة في الآية.

وضَعَفَ بكيف تفسير المسلمين لقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾⁵ بأن (الرحمن) تدل على رحمة الله تعالى لجميع الناس في الدنيا، و(الرحيم) تدل على رحمة الله تعالى للمسلمين في الآخرة، وزعم بأنه مستند على الهوى، والأنسب القول بأن (الرحمن) تدل على رحمة الله تعالى لجميع الناس في الدنيا والآخرة، و(الرحيم) تدل على رحمة الله تعالى لجميع الناس أيضاً ولكن فقط في الدنيا، فهذا هو وجه المبالغة والتمايز بينهما، فيصبح بعد ذلك القول بأبدية

¹ ينظر: Rahmet-i İlahiyye Bürhanları ve İnsanların Akide-i İlahiyyelerine Bir

Nazar براهين الرحمة الإلهية ونظرة على عقائد الناس الإلهية، موسى جار الله بكيف، تحقيق: فرحات فوجا،

تصميم: يونس أوزتورك وحافظ الله كنتش، دار أنقرة للنشر، أنقرة، 2019م، ط1، ص58-71.

² سورة المائدة: الآية (40).

³ سورة الأعراف: الآية (156).

⁴ سورة الأعراف: الآية (156).

⁵ سورة الفاتحة: الآية (1).

عذاب الآخرة ظاهر البطلان.

وأما الدليل الثالث فقوله تعالى: ﴿قُلْ يُعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾¹، ولا شك بأن كل أصناف الناس تدخل تحت قوله (يا عبادي) بدليل قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾²، والآية لم تقيد الإسراف، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾³ عام يشمل الكفر أيضاً، ولم يرد في القرآن (أن الرحمن لا يعذب أحداً)، فالمغفرة قد تكون بدون تعذيب مطلقاً، وقد تكون بعد مدة من العذاب، وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾⁴ فهو من باب التأنيب ولا دلالة فيه على الخلود.

وكذلك قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمُوتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁵، فقد وصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه غفور رحيم، ولو لم تكن نهاية هذا الاستغفار المغفرة لما وصف نفسه بهذه الصفات⁶.

وهكذا فقد أورد بكيف آيات وأحاديث عن الرحمة والمغفرة؛ وكأنه لم يذكر في القرآن آيات تدل على تأييد خلود الكفار، واستدل على تقييد العذاب بتعليقه بمشيئة الله تعالى، وقد فصل مصطفى صبري في بيان ما خفي عن بكيف في الكتاب الذي ذكرناه سابقاً.

1.6.3 يوسف القرضاوي:

يوسف عبد الله القرضاوي⁷ هو عالم وداعية مصري، وهو من الشخصيات العلمية

¹ سورة الزمر: الآية (53).

² سورة مريم: (93).

³ سورة الزمر: الآية (53).

⁴ سورة النساء: الآية (48).

⁵ سورة الشورى: الآية (5).

⁶ ينظر: براهين الرحمة الإلهية، موسى جار الله بكيف، ص 58-88.

⁷ "ولد يوسف القرضاوي في إحدى قرى جمهورية مصر العربية، قرية صفت تراب مركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، وذلك في التاسع من أيلول عام 1926، وأتم حفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام التجويد، وهو دون العاشرة من عمره، درس في معاهد الأزهر الشريف، والتحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر وحصل منها على الشهادة العالية، وكان موضوع رسالته في الدكتوراه (الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية)، اختير لرئاسة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين منذ تأسيسه، وهو عضو في المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة، ومنظمات أخرى". ينظر:

والفكرية البارزة في تاريخ حركة الإخوان المسلمين، ويعتبر من أبرز دعاة الوسطية الإسلامية التي تنادي للتجديد، كما اتسمت مؤلفاته بالتححرر من التقليد، وتجلت فيها الوسطية الميسرة¹. وفي مخطط له لتفسير القرآن الكريم ألف دروساً في التفسير منها (تفسير جزء عم) وهو ما يخص هذا البحث، فقد ذكر مسألة فناء النار عندما وصل إلى قوله تعالى: ﴿لَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾²، قائلاً:

"هل تنتهي عقوبة أهل النار في جهنم؟

هذه إحدى الآيات، أو ثالث الآيات القرآنية، التي دلت على أن الله تعالى فضلاً ورحمة ونعمة بأهل النار، بحيث يمكن أن تنتهي فيها عقوبتهم، وينهي الله عذابهم في جهنم، بعدما يشاء الله من ألوف السنين أو ملايينها.

وهناك ثلاث آيات في القرآن الكريم، رصدها أهل التأويل، دالة على ذلك.

أولها: قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَلَكُمْ خُلْدَيْنِ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾³.

ثانيها: ما جاء في سورة هود: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خُلْدَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (107) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خُلْدَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ (108)﴾⁴.

والآية الثالثة في هذا السياق: هي هذه الآية التي معنا في سورة النبأ: ﴿لَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾⁵.

أ. كتاب المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعضاء ملتقى أهل الحديث، أعده للمكتبة الشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث، <http://www.ahlalhdeth.com> (الكتاب مرقم آلياً، غير مطبوع)، ص370.

ب. مقالة من موسوعة الجزيرة نت، شخصيات، مصر، تم نشرها في 20.12.2014م <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/12/20>

¹ ينظر: كتاب المعجم الجامع في تراجم العلماء المعاصرين، ملتقى أهل الحديث، ص370.

² سورة النبأ: الآية (23).

³ سورة الأنعام: الآية (128).

⁴ سورة هود: الآيات ما بين (106-108).

⁵ سورة النبأ: الآية (23).

هذه الآيات الثلاث في كتاب الله تبعث الأمل في رحمة الرحمن الرحيم، أن يريح عباده الكافرين بعد أن عذبهم ما عذبهم من ألوف السنين أو ملايينها، أن يجري عليهم الفناء، ويبقي أهل الإيمان وحدهم في الجنة، فهذا هو اللائق برحمانيته. وهذا مذهب الإمامين الكبيرين: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيم..¹، وأعاد ما ذكره ابن القيم في هذه المسألة نقلاً كذلك عن ابن تيمية، وأضاف قائلاً: "فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب إلى غير نهاية لم تسعهم رحمته، وهذا ظاهر جداً، والثابت أن رحمته لا بد أن تنتهي حيث ينتهي العلم، كما قالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً﴾..² وأهل السنة على أنه يجوز تخلف الوعيد، بل إخلافه كرم وعفو... هذا في وعيد مطلق، فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب..³.

ثم رجع عدم اعتقاد شيء في هذه المسألة، والتفويض، قال: "فلا جزم بفناء النار، كما لا جزم بدوامها..، والقول بأن النار وعذابها دائمان بدوام الله: خبر عن الله بما يفعله، فإن لم يكن مطابقاً لخبره عن نفسه بذلك، كان قولاً عليه بغير علم، والنصوص لا تفهم ذلك..⁴.

1.6.4 عدنان إبراهيم:

عدنان إبراهيم⁵ من الأشخاص الذين ذاع صيتهم في الأوساط التي تتناول الخلافات الفكرية، والعقدية، والمذهبية في الساحة الإسلامية، خلال الآونة الأخيرة. تفرد عدنان بأقواله فيما يخص فلسفة الدين، والدين الإسلامي، والأفكار التي يدعو إليها تفسر قوله بفناء النار من جهة، وتعارض منهجية استدلاله على ذلك القول من جهة

¹ ينظر: دروس في التفسير تفسير جزء عم، يوسف القرضاوي، (نسخة إلكترونية)، الدوحة، 18 يونيو 2013، ص46-47.

² سورة غافر: الآية (7).

³ ينظر: تفسير جزء عم، القرضاوي، ص49-50.

⁴ ينظر: تفسير جزء عم، القرضاوي، ص51-52.

⁵ هو من مواليد معسكر النصيرات للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة الفلسطيني، عام 1966م، أسس مع مجموعة من زملائه جمعية لقاء الحضارات عام 2000 وترأسها، بعد ذلك تم تشييد مسجد الشورى في فيينا الذي أصبح مكاناً

لدروسه، ومنه تم نشر فيديوهات له على اليوتيوب. ينظر: مقالة بعنوان

<https://akhbarak.net/news/20986895/articles/38039227>

أخرى، يقول: "الأديان التوحيدية تتعاطى مع الله تعالى على أنه إله شخصي، وليس لدينا أي اعتراض على ذلك، لكن الواضح من خلال التجربة الدينية، والفهم المعمق للنصوص، أن الله تعالى لا يمكن أن يقارب كشخص، أو أن نقرب منه كشخص، وإنما المتاح لنا كبشر ضمن مقولة الزمان والمكان أن نقارب الله كمعنى، وأعتقد أن روح الإسلام تتمثل في جملة واحدة: مقارنة الله تبارك وتعالى كرحمة، ولذلك يمكن -وهذا الذي انتهيت إليه- في نهاية المطاف أن نجد شخصاً نصنفه على أنه ملحد، أو لا ديني، لا يعترف بالله ولكن بحسب هذا يكون مؤمناً بالله تبارك وتعالى، وربما أكثر من شخص يدعي أنه من رؤوس المؤمنين بالله لا يقارب الله كرحمة، ولكن يقارب الله كנקمة، كقتال، كدم، كسيف، في حين أن هذا الملحد ينطلق تماماً من مفهوم الرحمة، يتعاطى هذه الرحمة، إذن هذا بمعنى أو بآخر إيمانه بقيمة الرحمة هو إيمان بالله تبارك وتعالى.

الإسلام في المنظور القرآني هو دين الأنبياء جميعاً، والقرآن الكريم هو الأصل في التشريع الدائم، أما السنة النبوية فالأصل مبدئياً أن يُنظر إليها على أنها تطبيق مظروف ومشروط لفهم رسول الله -ﷺ- للقرآن الكريم على ظرفه وشرطه، على زمانه؛ يعني الطابع النسبي للسنة من حيثية.¹

وأعلن عدنان عن قوله بفناء النار، وفصل في هذه المسألة، في خطبة² له في مسجد الشورى الذي يترأسه، ومفادها:

"أن هذه المسألة من المسائل التي تسببت في كفر كثير من الناس بالأديان؛ فلا ينتظم في عقولهم ما وردت به هذه الأديان أن من كفر، وأشرك، ثم صار إلى حساب الله يؤبد في نار جهنم، ولا يخرج منها، إن عقولهم لا تتقبل هذا، وقال: لو كان هذا الإله موجوداً حقاً لما كان على هذا الوصف.

قال: لو سألنا مسألة بقاء أو فناء النيران هل هي مسألة من القطعيات المحكمات، أم أنها من المتشابهات؟ وجدنا كبار العلماء والأئمة يجعلونها من عويصات المسألات، ومن أشبه

¹ ينظر: لقاء مع عدنان إبراهيم على قناة NPO على اليوتيوب،

<https://www.youtube.com/watch?v=hbFjLjfluQw>

² ينظر: خطبة منشورة على اليوتيوب بعنوان (الدكتور عدنان إبراهيم/ نار جهنم باقية أم فانية؟)، عام 2012م،

<https://www.youtube.com/watch?v=focDJVOtXoE>.

المتشابهات،.. وصفها بهذا الوصف الإمام الصنعاني ومن قبله ابن قيم الجوزية. وبعد أن جعل عدنان هذه المسألة من العويصات، وفوض أمرها إلى الله، ساق أدلة على فناء النار، وابتدأها بالتشكيك في الدلالة اللغوية للخلود والتأيد على الدوام، والاستمرار إلى ما لا نهاية، وصرف المعنى إلى المدة المتطاولة المتناهية، وانتقى لهذا الذي خطر على باله أقوالاً لبعض العلماء منهم الزمخشري¹، والراغب الأصفهاني² في استخدامهم كلمة الخلود للمدة المتطاولة، واستخدام كلمة طويل الآباد في الدعاء بالعمر الطويل، مستشهداً بآيات منها قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾³، وقوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾⁴؛ قال: والرسول والمؤمنون ليسوا مؤبدين، ثم إن الله تعالى قد ذكر تخليد الكافرين مقيداً بالتأيد فقط في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾⁵، ﴿خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾⁶، ﴿إِلَّا بَلْعًا مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾⁷، ويقابل هذه المواضع ثلاثة مواضع أخرى ذكر فيها استثناء، وهي الآيات الواردة في سورة الأنعام، وسورة هود، وسورة النبا، واستدرك عدنان بقوله: إلا أن الاستدلال بالآية الواردة في سورة النبا ﴿لَنُبَيِّنَنَّ

¹ "العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن مُجَدِّ، الزمخشري الخوارزمي النحوي، صاحب (الكشاف)، (المفصل)، وكان مولده بزمخشّر -قرية من عمل خوارزم- في رجب سنة سبع وستين وأربع مائة، رحل وسمع ببغداد من نصر بن البطر وغيره. وحج، وحاور، وتخرج به أئمة، وكان رأساً في البلاغة، والعربية، والمعاني، والبيان، وله نظم جيد، قال السمعاني: برع في الآداب، وس=صنف التصانيف، ورد العراق وخراسان، ما دخل بلداً إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علامة نسابة، جاور مدة حتى هبت على كلامه رياح البادية. مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة." ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج15، ص18.

² "الحسين بن مُجَدِّ بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان سكن ببغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه جامع التفاسير، وقد أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، المفردات في غريب القرآن، توفي سنة اثنين وخمس مائة رحمه الله." ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن مُجَدِّ بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، 2002م، ط15، ج2، ص255.

³ سورة التوبة: الآية (108).

⁴ سورة الفتح: الآية (12).

⁵ سورة النساء: الآية (169).

⁶ سورة الأحزاب: الآية (65).

⁷ سورة الجن: الآية (23).

فِيهَا أَحْقَابًا¹ هو الأضعف؛ لأنه استدلال مبني على مفهوم العدد، وهو من أضعف المفاهيم، وهو تعبير أصولي، فهو عند أكثر العلماء لا مفهوم له.

قال: ثم إن القرآن قال في حق أهل الجنة: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾²، وأما أهل النار فقال في حقهم: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾³، وفرق كبير بين الآيتين؛ فقد نفى الله تعالى خروج أهل النار من النار، ولكنه سكت عن إخراجهم منها، عدا موضع واحد في سورة الجاثية، قال تعالى: ﴿ذُلِّكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾⁴، وقد قيده تعالى باليوم لأنه يبدو لي أن عذاب كل من دخل النار من هؤلاء الكافرين والمشركين هو يوم واحد، لكن هذا اليوم قدرته الأحاديث الصحيحة عن رسول الله بخمسين ألف سنة لا أكثر من ذلك، أو أن يكون يوماً من أيام الله؛ وهو ألف سنة مما تعدون ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾⁵، وقد نُسب العذاب في كثير من المواضع إلى يوم، قال تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾⁶، ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾⁷.

ثم انتقل إلى قوله تعالى: ﴿لَبِثَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾⁸ وأورد الآثار التي ذكرها ابن تيمية، وعلق بأنها وإن كانت ذات أسانيد ضعيفة، وإن لم تصح عن الصحابة إلا أن سكوت مثل عبد بن حميد يدل على أن هذا القول ليس بدعاً، ولا منكراً.

وكذلك أعاد وفصل في أن العذاب هو من أفعال الله سبحانه وتعالى، وحكمته التي اقتضت تطهير النفوس من الشر، ومن الشرك، فإذا ما طهرت عادت إلى الفطرة التي فُطرت عليها، ولم يعد هناك ما يستدعي العذاب، ثم قال: وأما من احتج بأن تطهير النفوس يوم القيامة مردود

¹ سورة النبأ: الآية (23).

² سورة الحجر: الآية (48).

³ سورة البقرة: الآية (167).

⁴ سورة الجاثية: الآية (35).

⁵ سورة الحج: الآية (47).

⁶ سورة هود: الآية (26).

⁷ سورة الحج: الآية (55).

⁸ سورة النبأ: الآية (23).

بدليل قوله تعالى ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾¹، قلنا له: اقرأ الآية بطولها، وفي سياقها، فالآية تتحدث عن حال أهل النار قبل أن يلقوا فيها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾².

ختم عدنان الخطبة بأنه لا يقول بفناء الكفار؛ فالآيات صريحة في الدلالة على أنهم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾³، ولكنه يقول أن النار تفتن؛ وعذاب الكفار مقيد بالمكان، وهو جهنم، فهي كالسجن لهم إذا فئت زال عذابهم، وذلك كله برحمة الله، فالكون كله فيض الرحمة.

وقد نوه عدنان إلى أهمية السياق في قراءة النصوص، عندما صرح بتطهير النار لشور الكفار إلا أنه غفل عن السياق عندما استدل على فناء العذاب دون الكفار بالآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَاذِبٍ﴾^{4,5}.

إن كلاً من محمد رشيد رضا، ويوسف القرضاوي، وعدنان إبراهيم قد ادعى شهرة هذا القول بين العلماء منذ سالف الأزمان؛ إلا أنهم لم يذكروا من هؤلاء العلماء المزعومين سوى ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ومع أنهم استندوا على قول ابن تيمية في دعواهم، إلا أنهم تفارقوا في النتيجة؛ فخرج يوسف القرضاوي بأن رحمة الله تعالى تقتضي أن يُجري الفناء على أهل النار، فلا يبقى سوى أهل الإيمان والجنة، وفي نهاية المطاف يجب التوقف في هذه المسألة فلا يحكم فيها بفناء أو بقاء؛ فالقول بالبقاء قول بغير علم لأن النصوص لا تُفهم ذلك، بينما خرج عدنان إبراهيم بأن الكفار لا يفنون بل يخرجون من النار التي تفتن بعد تطهيرها لهم.

ويمكن تلخيص ما ذهبوا إليه بما يلي:

● أولاً: نحنا محمد رضا إلى القول بفناء النار لأنه رأى في ذلك إقناعاً لمن كان في قلبهم

¹ سورة الأنعام: الآية (28).

² سورة الأنعام: الآية (27).

³ سورة فاطر: الآية (36).

⁴ سورة فاطر: الآية (36).

⁵ ينظر: خطبة منشورة على اليوتيوب بعنوان (الدكتور عدنان إبراهيم/ نار جهنم باقية أم فانية؟)، عام 2012م،

<https://www.youtube.com/watch?v=focDJVOtXoE>.

خوف من هذا الدين بسبب نظرتة للكفار بأنهم خالدون في النار، وأن في ذلك مخالفة لبقية الأديان التي ترى مخالفينها خالدين في العذاب، ووصف بأن في هذا من التكبر ما لا يخفى.

● ثانياً: قلل محمد رضا من أهمية الجزم في هذه المسألة فلا يضر القول بفناء النار المؤمنين؛ فهم ليسوا مخاطبين ببقاء العذاب.

● ثالثاً: زعم موسى بكيف بأن آيات الرحمة الواسعة شاملة ولم تُقيد، وكذلك المغفرة.

● رابعاً: استند القرضاوي على صفة الرحمة بأنها تقتضي إفناء من في النار، وذلك لأنها صفة مقترنة بالعلم، تنتهي حيث ينتهي.

● خامساً: ذكر القرضاوي أن في فناء من في النار إخلافاً للوعيد، وفي ذلك كرم وعفو.

● سادساً: إن نظرة عدنان إلى الإله، وإلى الكون على أنه فيض من الرحمة قد تُفسر قوله بفناء النار، إلا أن استدلاله على هذا القول كان معتمداً على الآثار الواردة عن السلف -على حد زعمه-، وهو من ادعى في البداية عدم قبول السنة النبوية مصدراً من مصادر الشريعة؛ فالحديث النبوي عنده ليس إلا فهم النبي -ﷺ- للقرآن الكريم، وهذا الفهم مقتصر على زمانه -ﷺ-، وبالتالي فإن استناد عدنان على آثار الصحابة والتابعين -قد وصفها هو بأنها ضعيفة- يجعل من قوله هذا ورقة خريفية تحطّ حيثما عبثت بها الريح.

● سابعاً: أطنب عدنان إبراهيم في الحديث عن معاني بعض الكلمات كالخلود، والأبد، واليوم، فتراه تارة يستشهد على مراده بالآيات الكريمة، والسياق، والقواعد الأصولية للمفاهيم، وتارة ترجح كفة ما بدا له من فتوحات خاطرة، بعيداً عن كل سبق، والمدقق فيها يجد أنها تكرار لما ذكره محمد رشيد رضا في تفسيره لسورة الأنعام.

2. الأدلة النقلية التي استدل بها القائلون بفناء النار مع وجه الدلالة ومناقشتها

تفارق القائلون بفناء النار في تقرير ذات المسألة كما تبين في المبحث الأول، ويرجع ذلك إما إلى اختلاف في منهجية استدلالهم، ونظرتهم للنصوص، وتفسيرهم لها، أو اختلاف فيما يعود إلى الأصول، فمنهم من جزم بفناء النار والجنة، ومنهم من جزم بفناء النار فقط دون من فيها من الكفار، ومنهم من جعل المسألة من المتشابهات وفوض الأمر لله، ومنهم من قال بفناء النار دون الكفار، فقد اختلفت الأقوال ضمن الفريق الواحد بالرغم من أن الآثار لم تكن مختلفة، وهذا ما يدعو لسرد الأدلة على سبيل المناقشة، والتفصيل ليمتاز القول البيّن من الوهم. وفي هذا المبحث سيتم دراسة الآيات القرآنية الكريمة؛ لأنها الأساس في هذه المسألة، والأصل في الاستدلال، وسيتم تناول معانيها اللغوية، والآثار الواردة في تفسيرها.

1.1 الآيات التي استدلوا بها على استثناء الكفار من العذاب.

1.1.1 الآية الواردة في سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَلُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ¹﴾.

ذكر سابقاً في هذه الآية:

- أنها نزلت في حق الكفار بدليل كلمة (أولياء)، وبالتالي فإن الاستثناء المذكور فيها يدل على دفع العذاب عن الكافرين.
- ما ورد فيها عن ابن عباس - رضي الله عنه - : "قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: ((إن هذه الآية تقتضي أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا ناراً))².
- أن معنى كلمة (خالدين) لا تدل على البقاء المستمر بل على المدى الطويل المتناهي.

¹ سورة الأنعام: الآية (128).

² الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص60.

ذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أُولِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾¹ أن أولياءهم هم "الذين أطاعوهم، وانقادوا وراء دعواتهم للشهوات، واللذات، والطيبات، فقد كان الجن يسهلون عليهم تلك الأمور"².

وفي الاستثناء وجوه منها:

أنه قد يكون لقوم سبق في علم الله تعالى إسلامهم: "قال ابن عباس: (استثنى الله تعالى قوماً سبق في علمه أنهم يسلمون، ويصدقون النبي ﷺ)³، وعلى هذا القول يجب أن تكون (ما) بمعنى (من). وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: عليم بالذي استثناه، وبما في قلوبهم من البر، والتقوى، وكذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي فيما يفعله من ثواب، وعقاب، وسائر وجوه المجازاة، وكأنه تعالى يقول: إنما حكمت لهؤلاء الكفار بعذاب الأبد لعلمي أنهم يستحقون ذلك، والله أعلم."⁴، وقال ابن عطية⁵: "ولما كان هؤلاء صنفاً ساغت في العبارة عنهم

¹ سورة الأنعام: الآية (128).

² ينظر: أ. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر الشيرازي

البيضاوي، تقديم: محمود عبد القادر أرناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، 2004م، ط2، ج1، ص322.

ب. مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر البكري الرازي، قدمه له: هاني الحاج، حققه:

عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 2015، ط3، مج7، ج13، ص158.

ج. معالم التنزيل، البغوي، ج3، ص188.

³ ينظر: أ. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج7، ج13، ص159، والأثر باللفظ الذي ذكره الرازي.

ب. معالم التنزيل، البغوي، ج3، ص189.

⁴ ينظر: أ. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج7، ج13، ص159.

ب. معالم التنزيل، البغوي، ج3، ص189.

⁵ "هو الإمام العلامة، شيخ المفسرين، أبو محمد عبد الحق بن الحافظ بن أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي،

صاحب التفسير الكبير، ولد سنة ثمانين وأربع مائة، اعتنى به والده، ولحق به الكبار، ولي قضاء المرية في سنة تسع

وعشرين وخمس مائة، حدث عن أبيه وهو أبو بكر غالب بن عبد الرحمن الإمام الحافظ الناقد المجود كان حافظاً

للحديث وطرقه، وعلله، عارفاً بالرجال، ذاكرةً لمتونه، ومعانيه. كان أبو محمد إماماً في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية،

قوي المشاركة، ذكياً فطناً مدركاً، وقال الحافظ خلف بن بشكوال: كان واسع المعرفة، قوي الأدب، متفنناً في العلوم.

توفي بمحسن لورقة، في الخامس والعشرين من شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وخمس مائة" ينظر: سير أعلام

النبلاء، الذهبي، ج14، ص401-402.

﴿مَا﴾¹.

وقد يكون المراد زيادة العذاب، "قال الفراء²: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى سوى، والمراد سوى ما يشاء من زيادة في العذاب، ونحا إليه الزجاج³4.

وقد يكون استثناء لمدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم⁵، قال تعالى: ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتُمْ لَنَا﴾؛ قال البغوي: "الأجل هو القيامة والبعث"⁶، و"قال بعضهم: هو وقت الموت، وقال قوم: المراد وقت المحاسبة في القيامة، وعليه فيكون المراد من الاستثناء أوقات المحاسبة، لأنهم في تلك الأحوال ليسوا بخالدين في النار، وقد رجح الزجاج هذا القول لأن معنى الاستثناء إنما هو من يوم القيامة، لأن قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ هو يوم القيامة. ثم قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ منذ يبعثون ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من مقدار حشرهم من قبورهم، ومقدار مدتهم في محاسبتهم"⁷.

¹ احرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة آيا صوفيا رقم (119) المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي بحفي باسطنبول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م، ط1، ج2، ص345.

² "العلامة صاحب التصانيف أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولا هم الكوفي النحوي صاحب الكسائي. يروي عن قيس بن الربيع، وأبي بكر بن عياش، وعلي بن حمزة الكسائي.. ورد على ثعلبة أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية، ولسقطت لأنه خلصها ولأنها كانت تُتنازع ويدعيها كل أحد. مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وستون سنة رحمه الله". ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج8، ص291-292.

³ "الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الرُّجَّاج البغدادي، مصنف كتاب معاني القرآن، وله تأليف جملة، لزم المبرّد، فكان يعطيه من عمل الرُّجَّاج كل يوم درهماً، فنصحه وعلمه، ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير، فكان سبب غناه، ثم كان من ندماء المعتضد، توفي سنة إحدى عشرة وثلاث مائة رحمه الله". ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج11، ص222.

⁴ احرر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص345.

⁵ ينظر: أ. أنوار التنزيل، البيضاوي، ج1، ص322.

ب. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج9، ص557.

ج. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج7، ج13، ص159.

د. معالم التنزيل، البغوي، 189.

⁶ معالم التنزيل، البغوي، ج3، ص188.

⁷ ينظر: أ. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج9، ص557.

ب. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج7، ج13، ص159.

قال ابن عطية "وساغ هذا من حيث العبارة بقوله تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ﴾ إذ أنها لا تخص بصيغتها مستقبل الزمان دون غيره"¹، "وقال أبو علي الفارسي²: المثنوى اسم للمصدر دون المكان لأن قوله: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا﴾ حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل، فقوله ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ﴾ معناه: النار أهل أن تقيموا فيها خالدين"³.

وقيل في هذا الوجه من الاستثناء أنه "تعسف؛ لأن الاستثناء هو من الخلود الدائم، ولا يصدق على من لم يدخل النار"⁴.

ذكر الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "وروي عن ابن عباس أنه كان يتأول في هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته"⁵، قال: "حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خُلِدِينَ فِيهَا﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ قال: ((إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يخكم على الله في خلقه؛ لا يُنزلهم جنة ولا ناراً))"⁶.

ومن اللافت أن الطبري -الذي ذكر ابن تيمية الأثر عنه- قد استخدم صيغة التمریض، وأقصى ما ذكره هو أن ابن عباس رضي الله عنه قد أول الاستثناء، وعلق أمر عذاب هؤلاء القوم إلى مشيئة الله تعالى، قال (هؤلاء القوم) ولم يقل الكفار، فلو كان القول بفناء النار مشهوراً،

¹ المحرر الوجيز، ابن عطية، ص 345.

² "هو إمام النحو، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي القسوي، صاحب التصانيف، حدث بجزء من حديث إسحاق بن راهويه، سمعه من علي بن الحسين بن معدان، تفرد له، قدم بغداد شاباً، وتخرج بالزجاج وبميرمان، وتخرج به أئمة، وله كتاب (الحجة) في علل القراءات، وكتابا (الإيضاح) و(التكملة)، وأشياء، عاش تسعاً وثمانين سنة، مات ببغداد في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاث مائة". ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 12، ص 369.

³ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج 7، ج 13، ص 159.

⁴ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، اعتنى به: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007م، ط 4، ص 447.

⁵ جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 9، ص 557-558.

⁶ ينظر: أ. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 9، ص 557-558.

ب. الدر المنثور في التفسير المأثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2011م، ج 3، ص 375.

ومعلوماً عن الصحابة، أو وراداً عنهم، أو لازماً لأثر لهم لكان أول من صرح به ابن جرير الطبري، لا سيما أنه كان بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها، وسقيمها، وناسخها، ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة، والتابعين، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وتوفي سنة عشر وثلاث مائة للهجرة، إلا أنه لم يقل به، بل لم يُعَرِّضْ له، لا هو، ولا غيره من المفسرين المتقدمين، أو المتأخرين، حتى أن ابن عطية قال في هذا الأثر: "والإجماع على التخليد الأبدي في الكفار، ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه".¹

"ثم إنه لا يخفى على ناظر أنه لا دلالة في هذا الأثر، ولا رائحة دلالة على المدعى من فناء النار، بل غاية ما يفيد الإخبار عن أنه لا يُجْزَمُ للمؤمن أنه من أهل الجنة، ولا العاص من عصاة المؤمنين أنه من أهل النار، وهذا المعنى ثابت في الأحاديث النبوية الصحيحة. ولو لم يحمل كلام ابن عباس على هذا لكان مقتضاه بأنه لا يحكم بأن أهل الشرك يدخلون النار، ولا بأن أهل التوحيد يدخلون الجنة إذ الإنزال هو الدخول وهذا رد لصريح القرآن، وإثبات لقول لم يقله أحد من أهل الإيمان".²

دلالة الخلود:

احتج بعضهم كما مر سابقاً بأن الخلود يدل على المدة المتطاولة، وبالتالي يدل على الانتهاء، واستدلوا على ذلك بقول الراغب الأصفهاني في الخلود بأنه المدة الطويلة. وأما ما ذكره الأصفهاني في مادة (خلد)، قال: "الخلود: هو تبري الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، والخلد: اسم للجزء الذي يبقى من الإنسان على حالته، فلا يستحيل ما دام الإنسان حياً استحالة سائر أجزائه، والمخلد: الذي يبقى مدة طويلة، ثم استعير للمبقي دائماً. والخلود في الجنة: بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁴، وإخلاد الشيء جعله مبقياً".¹

¹ المحرر الوجيز، ابن عطية، ص 346.

² رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت/ دمشق، 1984م، ط 1، ص 71.

³ سورة البقرة: الآية (82).

⁴ سورة البقرة: الآية (29).

ومنهج الراغب في كتاب المفردات كما ذكر محقق الكتاب أنه يذكر المادة بمعناها الحقيقي، ثم يتبعها بما اشتق منها، ثم يذكر المعنى المجازي للمادة، ويبين مدى ارتباطها بالمعنى الحقيقي، وبالنظر إلى المادة المذكورة فإن المعنى الحقيقي للخلود هو تبري الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وبهذا المعنى وُصفت الجنة، والنار بالبقاء الدائم إلى الأبدية بحيث لا يعترضها فساد؛ إلا أن هذه الكلمة بالنظر إلى حال الدنيا الحادثة المتغيرة الزائلة لا يمكن أن تستخدم للدلالة على البقاء الدائم لأن التغير سنة الله في الكون، فكان المعنى البقاء مدة طويلة، والمدة الطويلة تصدق على المدة الطويلة الدائمة التي لا تنقطع، وعلى المدة الطويلة؛ بالإضافة إلى غيرها، وإن كانت تنقطع وتنتهي، وكان لها حد. ومن ثم قال الأصفهاني: ثم استعير للمبقي دائماً، والله أعلم.

وفي عمدة الحفاظ "قليل: هو المكث الطويل، وقيل: هو الذي لا نهاية له..، وأصل الخلود تبري الشيء من أعراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هي عليه".²، "وليتنبه هنا إلى أن السمين الحلبي³ يتكلم عن المعنى الموضوع له اللفظ، ولا يريد أن معنى الخلود يتنافى مع التأييد، ولو كان هو عين معناه، لما كان جائزاً تقييده بالتأييد، لأنه تكرار محض، إن جاز لم يفد؛ إلا التأكيد، والأصل التأسيس؛ لا التأكيد، كما هو معلوم عند أهل العلم، فمعنى التأييد؛

¹ ينظر: أ. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الشامية، د.ت، د.ط، ص 291-292.

ب. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ط 1، ج 1، ص 519-520.

² ينظر: عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ص 519.

³ "شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد، وقيل عبد الدائم، المعروف بابن السمين، وقال السيوطي في طبقات النحاة: ويعرف بالسمين الحلبي ثم المصري الشافعي النحوي المقرئ الفقيه العلامة. قرأ النحو على أبي حيان، والقراءات على ابن الصايغ، وسمع وولي تصدير إلقاء النحو بالجامع الطولوني، وله تفسير القرآن في نحو عشرين مجلداً وإعراب القرآن، وشرح التسهيل، وشرح الشاطبية، وغير ذلك، توفي في جمادى الآخرة بالقاهرة سنة ست وخمسين وسبعمائة." ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1413هـ-1992م، ط 1، ج 8، ص 307.

مغاير لمعنى التخليد، وإن كانا لا يتنافيان بل يجتمعان، فما لا يتغير في كل الأزمان، مؤبد كذلك.¹

وقد ذكر القرطبي² في هذا المعنى من المفارقة في تفسير آية الاستثناء في سورة هود: "فيخلد أهل الدارين بمقدار دوامهما، وهو حق الربوبية بذلك المقدار من العظمة، ثم أوجب لهم الأبد في كلتا الدارين؛ لحق الأحديّة، فمن لقيه موخّداً لأحديّته، بقى في داره أبداً، ومن لقيه مشركاً بأحديّته إلهاً، بقي في السجن أبداً، فأعلم الله العباد مقدار الخلود، ثم قال: ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من زيادة المدة التي تعجز القلوب عن إدراكها؛ لأنه لا غاية لها؛ فبالاعتقاد دام خلودهم في الدارين أبداً"³.

وفي لسان العرب ذكر في مادة خلد: "الخُلْد: دوام البقاء في دار لا يخرج منها، خَلَدَ يَخْلُدُ خُلُوداً وخُلُوداً: بقي وأقام، ودار الخُلْد: الآخرة لبقاء أهلها فيها، وخَلَّده الله وأخلده تخليداً؛ وقد أخلد الله أهل دار الخُلْد فيها وخلّدهم، وأهل الجنة خالدون مُخْلَدُونَ آخر الأبد، وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾⁴؛ أي يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يموت. والمُخْلَد من الرجال: الذي أسن، ولم يَشِبْ كأنه مُخْلَد لذلك، وخَلَدَ يَخْلُدُ ويَخْلُدُ خُلُوداً وخُلُوداً: أبطأ عنه الشيب كأنما خلق لِيَخْلُد، والحوالد: الأثافي في مواضعها، والحوالد: الجبال والحجارة والصخور لطول بقائها"⁵.

¹ ينظر: الرد على عدنان إبراهيم في زعمه فناء النار وأن الكفار مصيرهم إلى دخول الجنة، سعيد فودة، د.ت، د.ط، ص22-23.

² "الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَح الأنصاري الخزرجي القرطبي صاحب كتاب التذكرة بأمور الآخرة، والتفسير الجامع لأحكام القرآن الحاكي مذاهب السلف كلها، وما أكثر فوائده. وكان إماماً عَلماً، من العواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل. توفي بمينة بني خصيب من صعيد مصر، رحمه الله تعالى." ينظر: شذرات الذهب، ابن العماد العكري، ج7، ص584-585.

³ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشارك في تحقيق هذا الجزء: مُحَمَّد رضوان عرقسوسي، وغيث الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2006م، ط1، ج11، ص215.

⁴ سورة الهُزْمَة، الآية (3).

⁵ ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين، نضال علي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م،

2.1.1 الآيات الواردة في سورة هود:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (107) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ (108)﴾¹.

ذكر في الآيات سابقاً:

- أن الاستثناء يدل على تقييد الخلود.
- عدم تحديد المستثنى يدل على أنه في النقصان.
- ومن الآثار التي ذكرت: عن الطبري أنه قال: "حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾، قال: فأخبرنا الذي يشاء لأهل الجنة؛ فقال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار"².
- وعن الطبري أنه قال: "حدثت عن المسيب، عمن ذكره، عن ابن عباس: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾: ((لا يموتون، ولا هم منها يُخرجون، ما دامت السماوات والأرض، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، قال: استثنى الله، قال: يأمر النار أن تأكلهم))"³.

فأما قوله تعالى: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ يعني لا يثين فيها أبداً، وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بال دوام أبداً، قالت: هذا دائم دوام السماوات والأرض، بمعنى أنه دائم أبداً⁴.

ط1، ج1، ص1140.

¹ سورة هود: الآيات ما بين (106-108).

² ينظر: أ. الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص67. ب. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج12، ص582-583، واللفظ له.

³ ينظر: أ. الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص69. ب. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج12، ص582، واللفظ له.

⁴ ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج12، ص579.

وذكر الطبري في وجوه الاستثناء أنه قد "اختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك؛ فقال بعضهم: هذا استثناء استثناه الله في أهل التوحيد أنه يخرجهم من النار إذا شاء بعد أن أدخلهم النار.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (106) خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، قال: ((الله أعلم بثنيائه. وقد ذكر لنا أن ناساً يصيبهم سَفْعٌ من النار بذنوب أصابوها، ثم يدخلهم الجنة)).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾؛ ((والله أعلم بثنيته. ذكر لنا أن ناساً يصيبهم سَفْعٌ من النار بذنوب أصابوها، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم: الجَهَنَّمِيُّونَ)).

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الضحاك بن مزاحم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ إلى قوله: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، قال: ((يخرج قومٌ من النار، فيدخلون الجنة، فهم الذين استثنى لهم)).

وقال آخرون: الاستثناء في هذه الآية في أهل التوحيد، إلا أنهم قالوا: معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار، ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾ - ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، لا من الخلود.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا ابن التيمي، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن جابر، أو عن أبي سعيد الخدري، أو عن رجل من أصحاب رسول الله - ﷺ - في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ قال: ((هذه الآية تأتي على القرآن كله، يقول: حيث كان في القرآن ﴿خُلِدِينَ فِيهَا﴾ تأتي عليه. قال: وسمعت أبا مجلز يقول: هو جزاؤه، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه)).

وقال آخرون: أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة، فعرفنا معنى ثنيائه بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ جَزْدٍ﴾ أنها في الزيادة على مقدار مدة السماوات والأرض. قالوا: ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار، وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة، وجائز أن تكون في النقصان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿عَطَاءَ غَيْرِ مَجْدُوذٍ﴾ ، قال: ((فأخبرنا الذي يشاء لأهل الجنة؛ فقال: ﴿عَطَاءَ غَيْرِ مَجْدُوذٍ﴾ ، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار)).

وقال آخرون: عني بذلك أهل النار، وكل من دخلها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن بيان، عن الشعبي، قال: ((جهنم أسرع الدارين عمرا، وأسرعهما خراباً)).

خُدِثَتْ عن المسيب، عمن ذكره، عن ابن عباس: ﴿خُلْدَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾: ((لا يموتون، ولا هم منها يُخرجون، ما دامت السماوات والأرض، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، قال: استثنى الله، قال: يأمر النار أن تأكلهم)).

قال: وقال ابن مسعود: ((ليأتين على جهنم زمان تحقق فيه أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً))¹.

وهو في تفسير القرطبي هكذا: "قال ابن مسعود: ﴿خُلْدَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾: ((لا يموتون فيها، ولا يُخرجون منها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، وهو أن يأمر النار أن تأكلهم، وتفنيهم، ثم يُجدد خلقهم)).

قلت: وهذا القول خاصٌّ بالكافر، والاستثناء له في الأكل وتحديد الخلق.²

وقد ذكر فخر الدين الرازي³ في وجوه الاستثناء مما يمكن الجمع بينه وبين الوجه

¹ ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج12، ص579-584.

² ينظر: أ. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص214.

ب. فتح القدير، الشوكاني، ص674. ذكر الشوكاني كذلك نفس الأثر في تفسيره، ونسبه إلى ابن مسعود رحمه الله بصيغة التمريض.

³ "مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ التِّيمِيِّ الْبَكْرِيِّ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيِّ ابْنُ خَطِيبِ الرِّيِّ، إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ ذُو الْبَاعِ الْوَاسِعِ فِي تَعْلِيلِ الْعُلُومِ، وَالْاجْتِمَاعِ بِالشَّاسِعِ مِنْ حَقَائِقِ الْمَنْطُوقِ، وَالْمَفْهُومِ، بَحْرٌ لَيْسَ لِلْبَحْرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ، وَحَبْرٌ سَمَا عَلَى السَّمَاءِ، رَدٌّ عَلَى طَوَائِفِ الْمُبْتَدِعَةِ وَهَدٌ قَوَاعِدِهِمْ. وَهُوَ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَةِ الْمَشَاهِيرِ بِالتَّصَانِيفِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ نَحْوِ مِنْ مَائَتِي مُصَنَّفٍ، مِنْهَا التَّفْسِيرُ الْحَافِلُ، وَ(الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ)، وَ(الْمُبَاهِثُ الشَّرْقِيَّةُ)، وَ(الرَّابِعِينَ)، وَلَهُ أَصُولُ الْفَقْهِ، وَ(الْمَحْصُولُ) وَغَيْرُهُ، وَصَنَّفَ تَرْجُمَةَ الشَّافِعِيِّ فِي مَجْلَدٍ مَفِيدٍ. تَوَفَّى سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّمِائَةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى"

ينظر: أ. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدست عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: محمود مُحَمَّدُ الطَّنَاحِي وَعَبْدُ الْفَتَّاحِ مُحَمَّدُ الْحَلُوهُ، هَجْرٌ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، 1413هـ، ط2، ج8، ص81-82.

ب. البداية والنهاية، ابن كثير، ج13، ص55.

السابق، "أن الاستثناء يرجع إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾، وتقديره أن نقول: قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (106) حُلْدَيْنِ فِيهَا﴾ يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود فإذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل وقت لا يحصل فيه هذا المجموع لكنه ثبت في المعقولات أنه كما ينتفي المجموع بانتفاء جميع أجزائه، فكذلك ينتفي بانتفاء فرد واحد من أجزائه، فإذا انتهوا آخر الأمر إلى أن يصيروا ساكنين هامين خامدين فحينئذ لم يبق لهم زفير وشهيق، فانتفى أحد أجزاء ذلك المجموع فحينئذ يصح ذلك الاستثناء من غير حاجة إلى الحكم بانقطاع كونهم في النار"¹.

قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية بالصواب القول الذي ذكرناه عن قتادة، والضحاك، من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه مدخلهم النار، فتاركهم فيها أبداً إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يُخرجهم منها فيدخلهم الجنة، كما قد بيّنا في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة؛ لأن الله عز وجل قد أوعد أهل الشرك به في الخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ، فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله ﷺ أن الله يدخل قوماً من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار، ثم يُخرجهم منها فيدخلهم الجنة، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها، مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا، وأناً إن جعلناه استثناء في ذلك، كنا قد دخلنا في قول من يقول: لا يدخل الجنة فاسق، ولا النار مؤمن، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، فإذا فسد هذان القولان، فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث."².

وقد رجح فخر الدين الرازي، والبيضاوي كذلك الوجه الذي رجحه الطبري، قال الرازي:

"قال قوم: هذا الاستثناء يفيد إخراج أهل التوحيد من النار، لأن قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ﴾ يفيد أن جملة الأشقياء محكوم عليهم بهذا الحكم، ثم قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ﴾

¹ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج 9، ج 18، ص 53.

² جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 12، ص 583.

رُبُّكَ﴾ يوجب أن لا يبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع، ويكفي في زوال حكم الخلود عن المجموع زواله عن بعضهم، فوجب أن لا يبقى حكم الخلود لبعض الأشقياء، ولما ثبت أن الخلود واجب للكفار وجب أن يقال: الذين زال حكم الخلود عنهم هم الفساق من أهل الصلاة، وهذا كلام قوي في هذا الباب.

فإن قيل فهذا الوجه إنما يتعين إذا فسدت سائر الوجوه التي ذكرتموها، فما الدليل على فسادها؟ قلنا: إننا بهذا الوجه بينّا أن هذه الآية لا تدل على انقطاع وعيد الكفار، ثم إذا أردنا الاستدلال بهذه الآية على صحة قولنا في أنه تعالى يخرج الفساق من أهل الصلاة من النار. ثم اعلم أنه تعالى لما صرح في آية السعداء أنه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة، فلما خص هذا الموضع بهذا البيان، ولم يذكر ذلك في جانب الأشقياء دل ذلك على أن المراد من ذلك الاستثناء هو الانقطاع..¹ وقال البيضاوي في هذا الاستثناء:

"استثناء من الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض، وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم، فإن التأييد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء، وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم، ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾² تقسيماً صحيحاً لأن من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسميه، لأن ذلك الشرط حين التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع، وها هنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين، وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة، وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين"³.

ورجح ابن كثير⁴ أيضاً ما رجحه الطبري، وقال: "ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، والحسن أيضاً: أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار

¹ ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج9، ج18، ص53-54.

² سورة هود: الآية (105).

³ أنوار التنزيل، البيضاوي، ج1، ص473.

⁴ أ. قال ابن العماد: "الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي. ولد سنة سبعمائة، وقدم دمشق وله سبع سنين؛ وحفظ (التنبية) وعرضه سنة ثمان عشرة، وتفقه بالبرهان القزاري، والكمال بن قاضي شُهبة، ثم صاهر المزري، وصحب ابن تيمية، وقرأ في الأصول على

بشفاعة الشافعين، من الملائكة، والنبیین، والمؤمنین، حین یشفعون فی أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمین، فتخرج من النار من لم يعمل خيراً قط، وقال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله. كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفیضة عن رسول الله ﷺ بمضمون ذلك من حديث أنس، وجابر، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها، ولا محيد له عنها. وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية الكريمة.

وقد روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وجابر، وأبي سعيد من الصحابة، وعن أبي مجلز، والشعبي، وغيرهما من التابعين، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة أقوال غريبة. وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير، عن أبي أمامة صدی بن عجلان الباهلي، ولكن سنده ضعيف، والله أعلم¹.

وابن كثير كان معاصراً لابن تيمية وملازماً له فمن اللافت عدم ذكره لقول فناء النار، ولم يُشر إليه حتى كقول وارد عن العلماء لا في عصره، ولا قبل ذلك من الصحابة، أو التابعين

الأصبهاني، وكان كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيد الفهم، يشارك في العربية وينظم نظماً واسعاً، وأخذ عن الشيخ تقي الدين بن تيمية فأكثر عنه. وقال ابن حبيب فيه: (إمام روي التسييح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع، وجمع، وصنف، وأطرب الأسماع بالفتوى، وشَنَّف، وحَدَّث، وأفاد، واشتهر بالضبط والتحري، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ، والحديث، والتفسير)، ومن مصنفاته: (البداية والنهاية)، و(التفسير)، و(جمع المسانيد العشرة)...، وتلامذته كثيرة، منهم: ابن حجي، وقال فيه: (أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها، ورجالها، وصحيحها، وسقيمها..)، وقال غيره كما قاله ابن قاضي شعبة في طبقاته: (كانت له خصوصية بابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتنح بسبب ذلك وأوذى). توفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية". ينظر: شذرات الذهب، ابن العماد العكري، ج8، ص396-399.

ب. وقال السيوطي: "العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث، وسقيمه، وعلمه، واختلاف طرقه، ورجاله جرحاً، وتعديلاً" ينظر: طبقات الحفاظ، السيوطي، ص534.

¹ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1420هـ-1999م، ط2، ج4، ص351-352.

كما زعم ابن تيمية، وإنما نوه لوجود أقوال غريبة؛ لم يذكرها لشدة تضعيفه إياها، علاوة على أنه تحدث عنها بصيغة التضعيف، ووصفها بأنها غريبة.

وذكر السدي¹ نسخ هذه الآية، قال: "جاء بعد ذلك من مشيئة الله فنسخها، فأنزل بالمدينة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾²، فذهب رجاء أهل النار أن يخرجوا منها، وأوجب لهم خلود الأبد، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾³، فجاء بعد ذلك من مشيئة الله ما نسخها، فأنزل بالمدينة: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾⁴ الآية، فأوجب لهم خلود الأبد.⁵

أما الزمخشري الذي اعتمد عليه عدنان إبراهيم في زعمه فناء النار، فقد قال في تفسيره الكشاف:

¹ إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد القرشي مولاهم الكوفي الأعور، وهو السدي الكبير كان يقعد في سدة باب الجامع فسمي السدي، أدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وروى عن أنس، وابن عباس، ورأى ابن عمر، والحسن ابن علي، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وروى عن أبيه... وكان ثقة مأموناً، وقال أبو بكر ابن مردويه الحافظ: (إسماعيل بن عبد الرحمن السدي يكنى أبا محمد، صاحب التفسير، كان أبوه من كبار أهل أصبهان)، وقال أبو حاتم: (يكتب حديثه ولا يحتج به)، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الطبري: (لا يحتج بحديثه)، وقال أبو نعيم بإسناده: إن السدي قال: (هذا التفسير أخذته عن ابن عباس، فإن كان صواباً فهو قاله، وإن كان خطأ فهو قاله). وهو حجازي الأصل، سكن الكوفة، ومات سنة سبع وعشرين ومائة في أيام بني أمية في ولاية مروان بن محمد. ينظر: أ. تهذيب التهذيب، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، د.ط، ج1، ص313-314.

ب. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ-1993م، ط1، ج2، ص724-725.

² سورة النساء، الآية (168-169).

³ سورة هود: الآية (108).

⁴ سورة النساء: الآية (57).

⁵ تفسير السدي الكبير، أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، جمع وتوثيق ودراسة: محمد عطا يوسف، دار الوفاء، المنصورة، 1414هـ-1993م، ط1، ص304.

"فإن قلت: فما معنى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء؟ قلت: هو استثناء من الخلود في عذاب النار، ومن الخلود في نعيم الجنة؛ وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده، بل يعذبون بالزمهرير، وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار، وبما هو أغلظ منها كلها، وهو سخط الله عليهم، وخسؤه لهم، وإهانتهم إياهم. وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها، وأجل موقعاً منهم، وهو رضوان الله، ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو، فهو المراد بالاستثناء.

والدليل عليه قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾، ومعنى قوله في مقابلته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب، كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له... وما ظنك بقوم نبدوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت¹ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ((ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد؛ وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً))²، وقد بلغني أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث، فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار، وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين، زادنا الله هداية إلى الحق، ومعرفة بكتابه، وتنبيهاً على أن نعقل عنه، ولئن صح هذا عن ابن العاص رضي الله عنه، فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير، فذلك خلّو جهنم، وصفق أبوابها، وأقول: ما كان لابن عمرو رضي الله عنه في سيفه، ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ما يشغله عن تسيير هذا الحديث³.
وقيل أيضاً في وجوه الاستثناء:

"إلا ما شاء ربك من الفريقين من تعميرهم في الدنيا، واحتباسهم في البرزخ ما بين الموت والبعث..

¹ النابت من كل شيء: الطري حين ينبت صغيراً، والنوابت من الأحداث: الأغمار. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج4، ص3821.

² ذكر محقق الكتاب في تخريجه قال: "أخرجه البزار بن محمد بن بشار قال: حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وزاد عليه ((يعني من الموحدين)). ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جارا الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، راجعه وقدم له: سمير شمس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1431هـ-2010م، ط1، ج2، ص682.

³ ينظر: الكشف، الزمخشري، ج2، ص681-682.

وقيل: إلا ما شاء ربك؛ سوى ما شاء ربك من الزيادة على قدر مدة بقاء السماوات والأرض، وذلك هو الخلود فيها..

وقيل: إلا بمعنى الواو، أي: وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة..
وقيل: معناه لو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لا يشاء، أنه حكم لهم بالخلود.
قال الفراء: هذا الاستثناء استثناء الله ولا يفعله، كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك أن تضربه"¹.

إن الآثار التي استدلت بها أصحاب هذا الفريق رويت بسند مختلف بعضها عن بعض، وبصيغة التضعيف، فالأثر الذي يرويه الطبري بصيغة التضعيف عن ابن عباس رضي الله عنه يرويه القرطبي عن ابن مسعود رضي الله عنه، ثم إنهما وإن صحت أسانيدهما فقد تبين معناها، وبطلان الاستدلال بها على فناء النار، فلا تصريح ولا كناية فيها، وليس كذلك بلانها، علاوة على أنه لم يذكر هذا القول أحد من المفسرين على اختلاف أزماهم، ومنهجهم في التفسير بالاعتماد على النقل أو العقل أو الجمع فيما بينهما، وقد تبين غزارة المعاني التي تحتويها هذه الآيات، واختلاف مشاهد يوم القيامة، وأحوال الناس فيه، فكيف بعد ذلك يقال إن الاستثناء دال على فناء النار وأهلها وهو قول الصحابة والتابعين ومن خلفهم ولم يثبت شيء من ذلك عنهم.

1.1.3 الآية الواردة في سورة النبأ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّغْيَنِ مَابًا (22) لِّبِشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لَا يَدْخُلُون فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا (25) جَزَاءً وَفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30)﴾².

بعد أن ذكر أصحاب هذا الفريق آيات الاستثناء، استدلووا بهذه الآية على تحديد المراد من الاستثناء السابق؛ وذلك بقوله تعالى: ﴿لِّبِشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، فزعموا أن قوله تعالى ﴿أَحْقَابًا﴾ يدل على التقييد.

● "وروى السدي عن مرة، عن عبد الله، قال: ((لو علم أهل النار أنهم يلبثون في

¹ ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ج4، ص201.

² سورة النبأ: الآيات ما بين (21-30).

النار عدد حصى الدنيا لفرحوا))¹.

● "وقد روى عبد بن حميد في تفسيره المشهور، قال: أنا سليمان بن حرب، أنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن البصري، قال: قال عمر: ((لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عاجل، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه))².

● "وعن سالم، عن الحسن، قال: حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثني عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، عن سالم، قال: سمعت الحسن يُسأل عن قول الله: ﴿لَبِثَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، قال: ((أما الأحقاب فليس لها عِدَّةٌ إلا الخلود في النار، ولكن ذكروا أن الحقب الواحد سبعون ألف سنة، كل يوم من تلك الأيام السبعين ألفاً، كألف سنة مما تعدون))³.

وأما ما ذكر في كتب التفسير في هذا السياق:

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: "إن جهنم كانت ذات رصد لأهلها الذين كانوا يكذبون في الدنيا بها، وبالمعاد إلى الله تعالى في الآخرة، ولغيرهم من المصدقين بها، حدثني يعقوب، قال ثنا إسماعيل ابن عُثَيَّة، عن أبي رجاء، عن الحسن في قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾، قال: ((لا يدخل الجنة أحدٌ حتى يجتاز النار)). وقوله: ﴿لَلطَّغَيْنَ مَأْبًا﴾، يقول تعالى ذكره: إن جهنم للذين طغوا في الدنيا فتجاوزوا حدود الله، استكباراً على ربهم، كانت منزلاً ومرجعاً يرجعون إليه، ومصيراً يصيرون إليه يسكنونه. وقوله: ﴿لَبِثَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الطاغين في الدنيا لابتثون في جهنم، فماكثون فيها أحقاباً.

¹ الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 62.

وهو في تفسير البغوي بهذا اللفظ: "روى السدي عن مَرَّة عن عبد الله، قال: ((لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا))"، ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ج 8، ص 315.

² ذكر محقق الرسالة أنه: "جاء بهامش الأصل مقابل هذا ما نصه ((رواة هذا الأثر أئمة ثقات، والحسن سمعه من بعض التابعين، والله أعلم))." ينظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الله السمهري ص 53.

³ جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 24، ص 25-26.

وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ مدة الحقب، فقال بعضهم: الحقب مدته ثلاثمائة سنة، وقال آخرون: الحقب ثمانون سنة، وقال آخرون: الحقب الواحد سبعون ألف سنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿أَحْقَابًا﴾، قال: ((بلغنا أن الحقب ثمانون سنة من سني الآخرة)).

وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس: ﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾: لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله، ولكن الحقب الواحد ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم من ذلك ألف سنة¹.

وروي عن خالد بن معدان في هذه الآية أنها في أهل القبلة، قال الطبري: "حدثني علي، قال ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عامر بن جشيب، عن خالد بن معدان في قوله: ﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾² ((إنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة))"³.

ثم قال الطبري: "فإن قال قائل: فما أنت قائل في هذا الحديث؟ قيل: الذي قاله قتادة والربيع بن أنس في ذلك أصح. فإن قال: فما للكفار عند الله عذاب إلا أحقاباً؟ قيل: إن قتادة والربيع قد قالوا: إن هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع.

وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك: لا بئين فيها أحقاباً في هذا النوع من العذاب، وهو أنهم ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا (25)﴾، فإذا انقضت تلك الأحقاب صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك، كما قال جل ثناؤه في كتابه: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَّآبٍ (55) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبُئْسَ الْمِهَادُ (56) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ (57) وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (58)﴾⁴، وهذا القول عندي أشبه بمعنى الآية.

وروي عن مقاتل بن حيان في أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، ولا معنى لهذا القول؛ لأن قوله: ﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ، وإنما

¹ ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 24، ص 21-25.

² سورة هود: الآية (107).

³ جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 24، ص 26.

⁴ سورة ص: الآيات ما بين (55-58).

النسخ يكون في الأمر والنهي"¹. وقيل أن المراد بالنسخ "أنه لا حكم لمفهوم العدد، وإلا فإنه لا يجري النسخ المصطلح عليه في الأخبار"².

إن كلام الطبري دقيقٌ ويُعين على التحقيق، حيث إنه قال: قد اختلف أهل التأويل في مبلغ مدة الحقب؛ وليس كما زُعم سابقاً أنهم اختلفوا في الأحقاب أي مقدرةٌ محدودةٌ لها نفاذ أم أنها غير مقدرة ولا محدودة.

فمنهم من قال أن الحقب السنون واحدها حقبة؛ وهي زمان من الدهر لا وقت له، ومنهم من قدره بثمانين سنة كما ورد سابقاً، وهو قول ابن عمر وابن محيصن وأبي هريرة، ومنهم من قدره بأربعين سنة، وسبعين سنة، وألف شهر، وثلاث مائة سنة³، فالاختلاف الذي ورد في كتب التفسير هو في تقدير مدة ومعنى الحقب الواحد، وقد نفى المفسرون والرواة على اختلافهم في تقدير الحقب أن يكون المراد من قوله: ﴿أَحْقَابًا﴾ وجود نهاية لعذاب الكفار، وإنما هي أحقاب متتابعة يتلو بعضها بعضاً بلا نهاية، وذلك من وجوه:

أن لفظ الأحقاب لا يدل على مضي حقب له نهاية؛ وإنما الحقب الواحد متناه، والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقاباً كلما مضى حقب تبعه حقب آخر، دهوراً متتابعة، وهكذا إلى الأبد، ثم إن التحديد في الآية للخلود يحتاج إلى توقيف يقطع العذر، وليس ذلك بثابت عن النبي ﷺ، ثم هَبْ أن قوله: ﴿أَحْقَابًا﴾ يفيد التناهي، لكن دلالة هذا على الخروج دلالة المفهوم، والمنطوق دل على أنهم لا يخرجون، قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخُرْجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾⁴، ولا شك أن المنطوق راجح⁵.

والعجب من استدلال هذا الفريق بالأثر الوارد عن الحسن في تقدير مدة الحقب، وفي

¹ جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج24، ص20-27.

² رفع الأستار، الصنعاني، ص89.

³ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص17.

⁴ سورة المائدة: الآية (37).

⁵ ينظر: أ. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص18.

ب. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج16، ج31، ص14-15.

ج. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج24، ص26.

د. أنوار التنزيل، البيضاوي، ج2، ص1126.

بداية الأثر تصريح بأنه لا مدة في الأحقاب إلا الخلود، واستدلّاهم بصدر الآية ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾، وذهولهم عما عقب به من قوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، فخص الله تعالى الزيادة على العذاب وأنه تعالى لا يزيدهم بعد لبث الأحقاب إلا عذاباً فانتفى مفهوم العذاب الذي أفاده الجمع الذي جعله ابن تيمية ومن بعده دليلاً على فناء النار، وعدم أبديتها مع أنه استدلال بمفهوم العدد، وهو من أضعف المفاهيم على هذه المسألة المعظمة، وكيف يجعلونه أقوى من التأييد المصرح به في عدة آيات من آيات وعيد أهل النار، فلو عارض مفهوم العدد منطوق التأييد لكان الحكم للمنطوق اتفاقاً¹.

وأما ما ورد سابقاً من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "((لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عاجل، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه))"²، فهو "من حيث الرواية منقطع، لنص ابن تيمية بأنه لم يسمعه الحسن من عمر، واعتدازه بأنه لو لم يصح للحسن عن عمر لما جزم به يلزم أن يجري في كل مقطوع يجزم به راويه، ولا يقول هذا أئمة الحديث كما هو معروف في قواعد أصول الحديث، بل الانقطاع عندهم علة، والجزم معه تدليس، وهو علة أخرى، ولا يقوم بمثل ذلك الاستدلال في مسألة فرعية، فكيف في مسألة قيل بأنها أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة، والحسن البصري معروف عند أئمة هذا الشأن بأنه لا يؤخذ بمراسيله، ثم إنه ولو ثبتت صحته عن عمر لم يدل على المدعى؛ فإن أصل المدعى هو: فناء النار وأن لها مدة تنتهي إليها، وليس في أثر عمر هذا إلا أنه يخرج أهل النار من النار، والخروج لا يكون إلا وهي باقية، فإن قيل: بل هو يدل على فنائها التزاماً لأنه تعالى خلقها ليعذب بها من عصاه، فبعد خروجهم لم يبق لها حاجة فالحكمة تقتضي فناءها، أجيب عن ذلك بأنه دور فإنه لا يثبت أن الحكمة تقتضي فناءها إلا إذا لم يبق فيها أحد، ولا يخرج أحد من أهلها إلا بعد فنائها، وبذلك عُرف أن أثر عمر لا يدل على مدعى فناء النار بشيء، فإن صح الأثر حمل على أنه أراد خروج الموحدين الذين استحقوا دخول النار بذنوبهم، وأما كونهم لا يلبثون قدر رمل عاجل ولا قريباً منه فمسلّم، فهو أتى بقضية شرطية، فقال: (لو لبث) أي أنه لو طال لبثهم ذلك القدر

¹ ينظر: رفع الأستار، الصنعاني، ص 88.

² الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية، ص 53-55.

لخرجوا، ولا دليل في ذلك أنهم يلبثون ذلك القدر"¹.

ويفسر أثر عمر عليه السلام، وما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "((ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً))"، وعن أبي هريرة مثله"²، ما أورده السيوطي عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: "وأخرج البزار وابن مردويه والديلمي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً، والحقب بضع وثمانون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم ألف سنة مما تعدون))"، قال ابن عمر: ((فلا يتكلن أحد على أنه يخرج من النار))"³. وفي تعليق البغوي على قول ابن مسعود رضي الله عنه جمع بين الآثار، قال: "ومعناه عند أهل السنة إن ثبت: أن لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان. وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً"⁴. ولا يخفى تضعيف البغوي للأثر بقوله: (إن ثبت).

وأما ما استشهد به على فناء النار مما رواه البغوي قال: "روى السدي عن مروة عن عبد الله بن مسعود قال: ((لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصي الدنيا لحزنوا))"⁵، فهو وإن صح ليس فيه دلالة إلا على الخلود، لأنه قضية شرطية؛ إذ إن أهل النار لن يفرحوا، وأهل الجنة لن يحزنوا، وهو

¹ ينظر: رفع الأستار، الصنعاني، ص 65-69.

² معالم التنزيل، البغوي، ج 4، ص 202.

³ ينظر: أ. الدر المنثور، السيوطي، ج 8، ص 395.

ب. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 22، ص 18، وقد ذكره منسوباً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ج. الكشف والبيان المعروف تفسير الثعلبي، الهمام أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي، دراسة وتحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1422هـ-2002م، ط 1، ج 10، ص 116. وهو كما رواه الثعلبي قال: "أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن الفتح قال: حدثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي قال: حدثنا زياد بن أبي يزيد قال: حدثنا سليمان بن مسلم عن سليمان الحتمي عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكونوا فيها أحقاباً، والحقب بضع وثمانين سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم ألف سنة مما تعدون، فلا يتكلن أحد على أن يخرج من النار))."

⁴ معالم التنزيل، البغوي، ج 4، ص 202.

⁵ ينظر: أ. معالم التنزيل، البغوي، ج 8، ص 315. ولم أجده في تفسير السدي الكبير.

ب. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن المعروف بالخانز، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ط 1، ج 4، ص 388

معلوم بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾¹، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾²، فالأثر إنما يدل على أبدية الخلود.

وبذلك يكون قد تبين معنى الآيات التي استدلت بها هذا الفريق، ووجه دلالتها، ووجه استدلالهم بها، وبطلان نسبة القول بفناء النار للصحابة والتابعين، وقد حصل في تلك النسبة خلط كبير بعد اشتهار هذا القول عن ابن تيمية؛ فغدى كل من تبني هذا القول أو تكلم في هذه المسألة يزعم نسبة القول بفناء النار إلى الصحابة والتابعين دون نظر إلى رواية أو دراية، وقد يكون دون نظر إلى الآثار بحد ذاتها، وإنما تقليد حجة عن سابق ادعاء، وهذا ما يفسر عدم ظهور هذا القول من قبل، فلو أنه كان منقولاً عن السلف، مشهوراً عند العلماء - كما زُعم - لامتألت به كتب التفسير، ونقله الرجال، كيف لا وهي مسألة أكبر من الدنيا وما فيها.

¹ سورة الحج، الآية (22).

² سورة البقرة، الآية (277).

1.2 الآيات التي فيها ذكر التأييد.

قابل عدنان إبراهيم آيات الاستثناء السابقة بثلاث آيات في القرآن الكريم زعم أنه لا يوجد سواها تقيد الخلود بالتأييد، فثلاث تقابل ثلاث ينتج بذلك: فناء النار - على حد زعمه-، وقيد الأبد بأن شكك في دلالة على البقاء اللامتناهي، وزعم أنه يدل على المدة الطويلة المتناهية لا أكثر.

1.2.1 الآية الواردة في سورة النساء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلًّا بَعِيدًا (167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169)﴾¹

قال الراغب الأصفهاني الذي استدل به محمد رشيد رضا، وعدنان إبراهيم سابقاً في كلمة الخلود، قال في مادة (أبد):

"قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾²، الأبد: عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان، وذلك أنه يقال: زمان كذا، ولا يقال: أبد كذا. وكان حقه ألا يثنى، ولا يجمع إذ لا يتصور حصول أبد آخر يضم إليه، فيثنى به، لكن قيل: آباء، وذلك على حسب تخصيصه في بعض ما يتناوله، كتخصيص اسم الجنس في بعضه، ثم يثنى، ويجمع، على أنه ذكر بعض الناس أن آباءاً مؤلّداً، وليس من كلام العرب العرباء. وقيل: أبداً أبداً. وأبيد أي: دائم، وذلك على التأكيد. وتأبد الشيء: بقي أبداً، ويعبر به عما يبقى مدة طويلة"³.

فقد صرح الأصفهاني أن (أبداً) تدل على الزمان الممتد إلى ما لا نهاية، وأما تثنيته وجمعه الذي استدل به محمد رضا، وعدنان على تقيد التأييد فلا يصح، وليس من كلام العرب أصلاً. وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾، "ولم يكن الله تعالى ذكره ليهدي هؤلاء الذين كفروا وظلموا، فيوفقهم لطريق من الطرق التي ينالون بها ثواب الله، ويصلون بلزومهم إياها إلى الجنة، ولكنه يخذلهم عن ذلك، حتى يسلكوا طريق جهنم، وإنما كنى بذكر

¹ سورة النساء: الآيات ما بين (167-169).

² سورة النساء: الآية (169).

³ مفردات القرآن، الأصفهاني، ص 59.

الطريق عن الدين"¹، فليس بعد ذلك الطريق طريق آخر يسلكونه، وليس بعد جهنم مأوى يسكنونه، وكنايته بالطريق عن الدين يدل على أنه الفارق في هذه المسألة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾²، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾³، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكُونُونَ مِنَ الرَّحِمَةِ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁴، فالله تعالى ذكره قد صرح لنا بأن الكفار ليسوا بداخلين في مغفرته، أو رحمته بخلاف ما تدرع به القائلون بفناء النار من أن رحمة الله واسعة، فكفرهم قد أخرجهم من نطاق رحمة الله ومغفرته بنص القرآن الكريم المنزل من عند الله تعالى.

وقوله: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، "يقول: مقيمين فيها أبداً، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾" يقول: وكان تخليد هؤلاء -الذين وصفت لكم وصفهم- في جهنم على الله يسيراً؛ لأنه لا يقدر من أراد ذلك به على الامتناع منه، ولا له أحد يمنعه منه، ولا يستصعب عليه ما أراد فعله به من ذلك، وكل ذلك على الله يسير؛ لأن الخلق خلقه، والأمر أمره.⁵ فتخليد الكفار في جهنم يسير على الله لا يمنعه من ذلك أمر فالخلق خلقه، والحكم حكمه، وليس كما قيل سابقاً أن ذلك على الله بعيداً فلا يفعله بمقتضى حكمته، وقوله: ﴿أَبَدًا﴾ "لدفع الاحتمال، أن الخلود هنا يراد به: المكث الطويل"⁶.

1.2.2 الآية الواردة في سورة الأحزاب.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (64) خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ ثَقُلَتْ الْوُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيَّتْنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ (67) رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا

¹ ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج7، ص696.

² سورة النساء: الآية (48).

³ سورة النساء: الآية (116).

⁴ سورة العنكبوت: الآية (23).

⁵ جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج7، ص697.

⁶ فتح القدير، الشوكاني، ص345.

كَبِيرًا (68) ﴿١﴾.

وهاهنا قرئن كثيرة، فقلوه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾، أي "أن الله أبعد الكافرين به من كل خير، وأقصاهم عنه، وأعدَّ لهم ناراً تتقد وتتسعر، ليُصليَهموها، وقلوه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِيهِ مَغْفِرَةً وَأَنْ نَبْذُرَ فِيهِ رَبَّهُمْ﴾، أي عَذِّبْهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تُعَذِّبنا، وأخزهم خزيًا كبيرًا" ²، واللعن: "الطرد والإبعاد عن الرحمة" ³، والعذاب: "النكال، والعقوبة، يقال: عَذَّبْتُهُ تعذيباً وعذاباً" ⁴، وأنى للخرى، والعذاب، والنار المتقدمة، أن يكون نعيماً وسوراً وعذوبة على من هو ملعون لعناً كبيراً، مطرود مبعد عن رحمة الله، فما القول بذلك إلا خلاف صريح القرآن ونصه، ويقول تعالى ذكره: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، أي "لا يجد هؤلاء الكفار ولياً ولا نصيراً يوم تُقَلَّب وجوههم في النار، حالاً بعد حال، فلا شيء ينجيهم من عذاب الله والخلود فيه، وهذا التقلب تغيير ألوانهم بلفح النار، فتسود مرة، وتخضر أخرى، وإذا بدلت جلودهم بجلود أخر يَتَمَنُونَ أنهم ما كفروا، ويقولون: يا ليتنا." ⁵، ولا بد أن العذاب هنا هو العقوبة والتنكيل إذ لو كان عذوبة كما زعم ابن عربي لما تمنى الكفار من الأتباع ضعف العذاب، واللعن الكبير لقادتهم، ورؤسائهم الذين ساقوهم إلى هذا المصير، ولما تمنوا لو أنهم لم يكفروا، ولرضوا بما لقوه من مصيرٍ مُسَلَّمين؛ بناءً على دعوى ابن عربي.

وقوله: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ "ينقض على الجهمية قولهم، وعلي أبي الهذيل العلاف. أما على الجهمية؛ لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تفنيان ولهما النهاية، وقالوا: لأننا لو لم نجعل لهما النهاية والغاية، لخرجتا عن علم الله؛ لأن الشيء الغير المتناهي خارج عن علمه؛ لكن هذا بعيد، جهل منهم برهم؛ لأن علمه بالشيء الغير المتناهي: أنه غير متناه، وعلمه بالمتناهي: أنه متناه، ولا يجوز أن يخرج شيء عن علمه متناهياً كان أو غير متناه، وبالله العصمة.

وأما العلاف؛ فلأنه يقول: إن أهل الجنة وأهل النار يصيرون بحال في وقت ما حتى إذا أراد الله

¹ سورة الأحزاب: الآيات ما بين (64-68).

² ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج19، ص188-189.

³ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17، ص237-238.

⁴ لسان العرب، ابن منظور، ج3، ص2544.

⁵ ينظر: أ. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج19، ص188.

ب. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17، ص238.

أن يزيد لأحد منهم لذة أو نعمة أو عذاباً لم يملك عليه، أو كلام نحو هذا؛ فنعوذ بالله من السرف في القول على الله¹.

1.2.3 الآية الواردة في سورة الجن.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾².
وقوله: ﴿وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ "في الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ في النار أو في جهنم، والجمع باعتبار المعنى ﴿أَبَدًا﴾ يقول: ماكنين فيها أبداً إلى غير نهاية"³.

وبذلك يتبين فساد مسلك المقابلة الذي اتبعه عدنان، "ونحن نسميه (طريق المقابلة المزعومة الفاسدة)، والنافي لبقاء النار؛ يتبع هذا الأسلوب من النظر، وهو يعلم تماماً أن الآيات الأولى المفيدة للتأييد والتخليد، محكمة عند العلماء، وأقل ما يقال فيها عند الآخرين: إنها ظاهرة مرجحة؛ لعدم خروجهم من الناء مع بقاء أهلها فيها، والظهور بالرجحان؛ نوع من الإحكام. وهو يعلم أيضاً أن أكثر ما يقال في الآيات التي جعلها مقابلة لهذه الثلاث المحكمة - حال جعلها دالة على ما يريد من معنى الفناء - أنها متشابهة، وهي وإن كانت محتملة - على زعم من يدعي ذلك - فاحتمالها موهوم مرجوح، بحسب الدلالة؛ لا ظهور له، ولا رجحان. والسؤال: كيف يجعل المتشابه حاكماً على المحكم، والمرجوح راجحاً على الراجح، ثم يبطل دلالة المحكم بالمتشابه.."⁴.

وأما زعمه بأن كلمة (أبداً) قد أتت في القرآن الكريم ولم تدل على التأييد، "فالحقيقة أن لو أنصف، لعرف أن عدم بقاء هذه الأمور المحكوم عليها بتأييد، إنما جاء لا لنفس كلمة (أبداً)، بل لأننا عرفنا عدم بقاء كل ما قيد؛ ما تعلق به بالتأييد، فصار معنى التأييد ههنا: ما

¹ تأويلات أهل السنة المعروف بتفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م، ط1، ج8، ص417.

² سورة الجن: الآية (23).

³ ينظر: أ. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود، أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت، د.ط، ج5، ص408.

ب. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج23، ص350.

⁴ ينظر: الرد على عدنان إبراهيم، سعيد فودة، ص30-31.

بقيت المتعلقات، وقد علمنا أنها لا تبقى، فالتأييد صار مقيداً لتفيد ما تعلق به، وليس العكس، وهو عدم دلالة التأييد على عدم النهاية إلا بقرينة، فهذا هو قلب الأمور وعكسها، بلا قرينة ولا دليل"¹.



¹ ينظر: الرد على عدنان إبراهيم، سعيد فودة، ص28.

1.3 الآيات التي استدلو بها على شمولية رحمة الله للكافرين.

احتج أصحاب هذا الفريق بأن رحمة الله تعالى تنافي خلود الكفار في النار أبداً، وفي هذا المطلب بيان ذكر رحمة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾¹.

قال ابن عطية: "ابتدأ يخبر عنه تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ ومعناه قضاها وأنفذها، وفي هذا المعنى أحاديث عن النبي عليه السلام تتضمن كتب الرحمة، ومعلوم من غير ما موضع من الشريعة أن ذلك للمؤمنين في الآخرة، ولجميع الناس في الدنيا، منها أن الله تعالى خلق مائة رحمة فوضع منها واحدة في الأرض فيها تتعاطف البهائم، وترفع الفرس رجلها لثلاثاً تطأ ولدها، وبها تتعاطف الطير والحيتان، وعنده تسع وتسعون رحمة، فإذا كان يوم القيامة صير تلك الرحمة مع التسعة التسعين وبنها في عبادته، فما أشقى من لم تسعه هذه الرحمات تغمداً الله بفضل منه. وقال الزجاج (الرحمة) هنا إمهال الكفار وتعميرهم ليتوبوا"².

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³، "وقد قرأ عامة قرأة المدنيين ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾، فيجعلون (أن) منصوبة على الترجمة بها عن الرحمة، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على ائتلاف (إنه) بعد الفاء، فيكسرونها ويجعلونها أداة لا موضع لها، بمعنى: فهو له غفور رحيم، أو: فله المغفرة والرحمة"⁴.

وقال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾⁵.

"فأما قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فإنه يقول: فسأكتب رحمتي التي وسعت كل

¹ سورة الأنعام: الآية (12).

² ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج 2، ص 271.

³ سورة الأنعام: الآية (54).

⁴ ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 9، ص 274.

⁵ سورة الأعراف: الآية (156).

شيء للقوم الذي يخافون الله، ويخشون عقابه على الكفر به، والمعصية له في أمره ونهيهِ، فيؤدون فرائضه، ويحتنبون معاصيه، قال الطبري: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿فَسَاءَ كُتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾، قال: (أمة محمد ﷺ)¹.

وفي كتاب القيمة العلمية للمجتهدين الجدد في الإسلام في الرد على موسى جار الله المستدل بالرحمة على فناء النار:

"حسنًا.. أولئك الذين يقولون بأن رحمة الله الواسعة لا تقبل التقييد من أمثال موسى جار الله، ماذا يقولون عن عدم شمول الرحمة لمدة عذاب الكفار لأشهر بل لسنوات؟. إن قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ خاص على أية حال، فالرحمة وإن كان فيها عموم في تعلقها بكافة الناس، إلا أنها تحتوي على خصوص فيما يتعلق بالزمان، ويشرح هذه المسألة قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾².

على الإنسان إذا أراد البحث في مسألة علمية أن ينظر إلى السياق، وإلى ما يفيد العقل والنقل في المسألة، فموسى جار الله وضع قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ نصب عينيه، ولم ينظر بعد ذلك إلى ما يُخصص الرحمة مما دُكر بعدها، أو مما دُكر قبلها، وغض طرفه عن كل الآيات التي تتناول ذكر جهنم، وأبدية عذاب الكفار، ولم يعرف تفسير الآية التي تحدثت عن الرحمة؛ فالآية تتحدث عن الرحمة الإلهية، إلا أن خزينة هذه الرحمة ليست بيد موسى بكيف أفندي حتى يصدر أحكاماً على الوجه الذي يرضاه، إن هذه الخزينة بيد صاحب الإرادة والقدرة، يتصرف بها كيف يشاء"³.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾

¹ ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج10، ص487-488.

² سورة الكهف: الآية (58).

³ ينظر: Yeni İslam Müctehitlerin Kıymeti İlmiyyesi القيمة العلمية للمجتهدين الجدد في

الإسلام، مصطفى صبري أفندي، دار الخلافة العلية مدرسه سي، تحقيق: فرقان بن عبد الله، اسطنبول، 1442هـ-

2021م، د. ط. ص66-67.

وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ¹، أي يدخل من يشاء في الدين الحق وهو الإسلام، والمشركون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب ولا نصير ينصرهم في ذلك المقام²، وفي مثل ذلك قوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾³.

إن الآيات الكريمة هي التي تبين معنى الرحمة الواسعة، وليس عقولنا البشرية، فالأمر بيد الله، والحكم لله، فلا يحق للعقل البشري أن يتأول على الله، ويوجب عليه أحكاماً تخالف ما أخبرنا به عن نفسه، ثم إنه لو كانت رحمته واسعة شاملة للكفار والسياطين، وهي تقتضي فناء النار بعد مدة من الزمن لكان من الشمول انعدام وجودها من الأصل، وتحولهم إلى تراب كما تمنوا ذلك في آخر سورة النبأ التي استدلوا بها على الفناء، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾⁴، ولكن هيهات.

¹ سورة الشورى: الآية (8).

² ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ص1322.

³ سورة الإنسان: الآية (31).

⁴ سورة النبأ: الآية (40).

1.4 الآيات التي فيها نفي معنى الخروج من النار.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّهْنَا فَنَتَّبِعَهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾¹، وقال: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾²، وقال: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾³، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابٍ كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾⁴.

تنص الآيات السابقة على عدم خروج الكفار من النار، وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، فلا هم يخرجون من النار، ولا هم يُخرجون، ولا يُقضى عليهم بفناء دارهم ففنائهم بها، ولا يموتون فيها وهي باقية، ولا يخفف عنهم من عذابها وهم فيها، فهذا نفي صريح للاحتمالات الناجمة عن القول بفناء النار، فالقول بفناء النار كما مر سابقاً يكون إما بفناء أهلها منها وهي باقية؛ وذلك يكون بالخروج أو الإخراج، وإما بفنائها وبالتالي فنائهم بسبب فناء دارهم، وإما بفناء عذابهم والكفار باقون في دارهم، وجميع ذلك ظاهر البطلان، بعد ذلك يغدو البحث عن قرائن لصرف المعنى عن حقيقته، وقلب الظاهر وأخذ باطنه أو إشارته، وترك الدليل لبعض الخواطر والمشاعر من التعسف، والتخبط في مسألة لا يجهل أحد كبرها.

وأما قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾، فليس المراد منه يوماً كأيام الدنيا المحدودة، وإنما الحديث هنا عن بعد مختلف تماماً عن مفهوم اليوم المحدود بزمان مقدر، واليوم في اللغة: "يطلق على ما هو معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها، ويقال: يوم نَعْم ويوم بُؤْس، فالיום ههنا بمعنى الدهر، وقد يراد باليوم الوقت مطلقاً، والعرب تقول الأيام في معنى الوقائع، يقال: هو عالم بأيام العرب؛ يريد وقائعها"⁵، ويعارض ما استدل به على كون اليوم يدل على المحدودية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ

¹ سورة البقرة: الآية (167).

² سورة الحج: الآية (22).

³ سورة الجاثية: الآية (35).

⁴ سورة فاطر: الآية (36).

⁵ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج4، ص4405-4406.

عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ¹، "هو يوم القيامة، وسمي يوم القيامة عقيماً لأنه ليس يعقب بعده يوماً مثله، والعقيم في اللغة عبارة عن من لا يكون له ولد، ولما كان الولد يكون بين الأبوين، وكانت الأيام تتوالى قبل وبعد، جعل الإتيان فيها بالبعدية كهيئة الولادة، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوماً، وُصف بالعقيم"².

وكذلك "فإن قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ﴾ أريد به مبدأه وحينئذ فلا دليل بالتقييد مطلق الزمان، فمن أيام الآخرة ليس لها قيد به من نعيم ولا عذاب، بل أريد به مطلق الزمان، فإن أيام الآخرة ليس لها مقدار فمتى أطلق اليوم أطلقه على مطلق المدة؛ كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾³، ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾⁴..، فليس المراد من الجميع اليوم المعروف للمقدار المذكور قطعاً، وبهذا يُعلم ضرورة أنه إذا أطلق اليوم في تقييد الأمور الأخروية عُلم يقيناً أنه مطلق الزمان، ولا تحديد له، ولا تعيين، ولا نهاية إلا بدليل..، وقد استُدل بما ذكر من تقييد عذاب الآخرة باليوم في آيات، وعدم تقييد نعيم الجنة ولا في آية، فلما حققته وجدته لا شيء نفيّاً ولا إثباتاً، أما إثباتاً فإنه ما ثم دليل على مدعاه، وأما نفيّاً فإنك قد سمعت ما سقناه من تقييد نعيم أهل الجنة باليوم، كما قال الله في الجنة: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾⁵ انتهى.⁶

¹ سورة الحج: الآية (55).

² ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص434.

³ سورة المرسلات: الآية (35).

⁴ سورة الصافات: الآية (21).

⁵ سورة ق: الآية (34).

⁶ ينظر: رفع الأستار، الصنعاني، ص138-139.

2. الأدلة العقلية المستندة على الأدلة النقلية في فناء النار ومناقشتها

إن بعض الكلمات التي مرت عن القائلين بفناء النار تعبر عن نظرتهم لهذه المسألة، كقول محمد رضا: إن القول بفناء النار لا يضر المؤمنين كما أنه ينفعنا في جذب من في قلوبهم شك بعدالة هذا الدين.

إنهم عندما يتحدثون عن عذاب الله تعالى؛ وهم مؤمنون بما يقولون، ويستطيعون تخيل هول ذلك الموقف، قد يدفعهم هذا الهول للقول بوجود نهاية لهذا العذاب، ويحاولون في سبيل ذلك التثبت بمبتذل الأدلة، ويغفلون عند هذه اللحظة عن أنها مسألة غيبية محضة؛ تُعلم أخبارها عن طريق النقل الثابت المحكم عن الله سبحانه وتعالى، ولا سبيل للعقل سوى الفهم والتسليم، في إطار الثوابت الدينية، وسياق الآيات، ويظهر ذلك جلياً عند حديثهم عن الحكمة الإلهية، فيحددون ما يجب عنها بمضمون العقل البشري؛ وكأنهم يتحدثون عن الحكمة البشرية.

"فالأمر الغيبية يدرك بعضها بالعقل: وهو كل ما كان إثبات الشرع متوقفاً على التصديق به؛ كحدوث العالم، ووجود الله تعالى. وبعضها يدرك بالعقل والشرع جميعاً: وهو كل ما يمكن إدراكه بالعقل، ولم يكن إثبات الشرع متوقفاً على التصديق به؛ كرؤية الله عز وجل. وبعضها يدرك بالشرع دون العقل: وهو كل ما كان جائزاً عقلاً؛ يستوي في حكم العقل وجوده وعدمه، فيخصص الشرع أحد الجائزين بالوقوع؛ فإن ذلك من مواقف العقول، وإنما يعرف من الله تعالى بوحى وإلهام، ونحن نعلمه من الموحى إلهي بسماع؛ كالحشر والنشر والثواب والعقاب وأمثالها، فكل ما ورد به السمع، وكان العقل مجزئاً له.. وجب التصديق به قطعاً إن كانت الأدلة السمعية قاطعة في متنها وسندها لا يتطرق إليها احتمال، ووجب التصديق بها على سبيل الظن إن كانت الأدلة ظنية.

ومنه فلا ينبغي أن تُترك النصوص المحكمة القطعية الدلالة على بقاء النار لبعض الأدلة المحتملة؛ على أنه لا دلالة في آيات الاستثناء — كما ذكر سابقاً — على الفناء، ولا في الآثار التي استشهدوا بها — إن صح سندها —، فإذا ما لا برهان على إحالته لا ينبغي أن يُنكر بمجرد استبعاد بعض العقول له، لا سيما أن الله تعالى إذا كلف العباد فأطاعوه.. لم يجب عليه الثواب، بل إن شاء أثابهم، وإن شاء عاقبهم، ولا يبالي لو غفر لجميع الكافرين، وعاقب جميع المؤمنين، ولا يستحيل ذلك في نفسه، ولا يناقض صفةً من صفات الألوهية، وهذا لأن

التكليف تصرّف منه في عبّده ومماليكه، وأما الثواب والعقاب ففعل آخر على سبيل الابتداء؛ وليس على سبيل الاستحقاق، وهو إنما يوجب ورود السمع به، وأما كونه واجباً أو ممنوعاً لمعنى آخر فغير مفهوم¹.

2.1 الحكمة والمشئّة:

قد استدل أصحاب هذا الفريق على فناء النار بكون العذاب معلقاً في بعض الآيات بمشيئة الله تعالى، "إلا أن الآية تحبر بأن أحد أطراف الممكن قد ترجح بإرادة الله تعالى، وعلى فرض رجحان الاحتمال الآخر للممكن فإن ذلك أيضاً سيكون ضمن مفهوم القدرة والحكمة الإلهية؛ فإن الحكمة تعني رجحان أحد طرفي الممكن بالنسبة لإرادة الحكيم، وبذلك تكون النكتة في الاستثناء المذكور في سورة هود نفي وجوب شيء على الله تعالى وحتى خلود الكافرين في النار؛ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾² يؤكد هذا المعنى؛ فالله سبحانه وتعالى سيخلد الكفار في النار، وهو قادر على عدم تخليدهم لو أراد ذلك. والعذاب الأبدي الذي سينفذه في حق الكفار هو بما يوافق إرادته تعالى، وبناء عليه يغدو قول موسى جار الله سابقاً؛ بأنه لا يستطيع أن يوجب على الله تخليد الكافرين إرضاءً لنزّة الانتقام، غير لائق؛ لأن القائلين ببقاء النار لم يصفوا الله تعالى بالعجز؛ إذ إن الإيجاب على الله تعالى يستدعي العجز والنقصان تعالى الله عن ذلك.

وبالتالي فلا تعارض بين ما ذكرناه، وما ذكره ابن القيم الجوزية في آيات الاستثناء من أقوال وآثار واردة؛ بأنها تأتي على كل وعيد في القرآن الكريم، لأننا نحن أيضاً نرى أن كل آيات العذاب مقيدة بمشيئة الله تعالى، فلا شيء خارج عن مشيئته، إلا أن هذا القيد يدل على تعلق العذاب بمطلق الإرادة الإلهية دون إيجاب، ولا دلالة فيها على عدم إنفاذ العذاب³.

¹ ينظر: أ. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، عني به: أنس محمد عدنان الشرفاوي، دار المنهاج، بيروت، لبنان، 1437هـ-2016م، ط1، ص334، ص365-366، ص374.

ب. أسس العقيدة الإسلامية، تلخيص شرح التفتازاني لمتن (العقائد) لأبي حفص عمر بن محمد النسفي، حمزة البكري، جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية-كلية العلوم الإسلامية، اسطنبول، 2013، د.ط، ص46.

² سورة هود: الآية (107).

³ ينظر: القيمة العلمية للمجتهدين الجدد في الإسلام، مصطفى صبري، ص54-56.

ثم إن مسألة تخليد الكافرين في النار تندرج تحت أفعال الله تعالى، "وجملة أفعال الله تعالى جائزة لا يوصف شيء منها بالوجوب، فيجوز منه إيلاء العباد بغير عوض ولا جنائية، ولا يجب عليه رعاية الأصلح، ولا يجب عليه ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وإنما كثر الخبط لأنهم لم يحصلوا معنى بعض الألفاظ كالواجب والحسن والقبيح والحكمة.. وأما الحكمة فتطلق على معنيين:

أحدهما: الإحاطة المجردة بنظم الأمور ومعانيها الدقيقة والجليلة، والحكم عليها بأنها كيف ينبغي أن تكون حتى تتم منها الغاية المطلوبة بها.

والثاني: أن تنضاف إليه القدرة على إيجاد الترتيب والنظام وإتقانه وإحكامه.

فيقال: حكيم من الحكمة؛ وهو نوع من العلم، كما ذهب إليه الأشاعرة، ويقال: حكيم من الإحكام، وهو نوع من الفعل، وهو ما رجحه الماتريدية¹.

فإن زعموا أن تخليد الكفار في النار يناقض كونه تعالى حكيمًا، "نقول:

الحكمة إن أريد به العلم بنظام الأمور والقدرة على ترتيبها كما سبق.. فليس في هذا ما يناقضه.

وإن أريد بها أمر آخر.. فليس يجب له عندنا من الحكمة إلا ما ذكرناه، وما وراء ذلك لفظ لا معنى له، فإن أريد بها مراعاة صلاح العباد فهو ليس ببعيد عن قول المعتزلة بوجوب مراعاة الصلاح والأصلح، وليس في ذلك صلة بالحكمة سواء بمعناها اللغوي، أو الاصطلاحي، كما تبين².

إن الثواب والعقاب من الله تعالى فعل مبتدأ غير معلل بفعل سابق، فالثواب من ناحية الفعل لا يجب بسبب وجود الطاعة وكذلك العقاب، وعند هذا لا يسلم للقول بأن الحكمة من العذاب تزكية النفوس من الأدراة فإذا ما طُهرت خرج الكافرون من النار، ولا يخفى ما يعارضه هذا القول من صريح الآيات الكريمة في نفي التزكية عنهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ

¹ ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ص 301، ص 307.

² الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ص 328.

اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ¹، "وقوله ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ معناه: لا يثني عليهم خيراً، قاله الزجاج، وقيل معناه: لا يصلح أعمالهم الخبيثة؛ فيطهرهم"²، وقال الرازي: "وفيه وجوه، الأول: لا ينسبهم إلى التزكية ولا يثني عليهم، الثاني: لا يقبل أعمالهم كما يقبل أعمال الأركياء، الثالث: لا ينزلهم منازل الأركياء"³، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁴، "وقوله ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ نظر رحمة، بل يسخط عليهم ويعذبهم بذنوبهم"⁵.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁶، "فإن قالوا: فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت، وأبدلهم جلوداً غيرها؟ فلا نرى إلا أن الله يعذب جلوداً لم تذنّب حين يقول: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾؛ وشكّوا في القرآن وزعموا أنه متناقض. يقال لهم: إن قول الله تعالى ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ليس يعني جلوداً غير جلودهم، وإنما يعني تبديلها بتحديدتها، لأن جلودهم إذا نضجت جددتها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاصو عام، ووجوه كثير وخواطر يعلمها العلماء"⁷.

فالأية تدل على أنه ما من تطهير لتلك النفوس.

¹ سورة البقرة: الآية (174).

² فتح القدير، الشوكاني، ص 111.

³ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج 3، ج 5، ص 26.

⁴ سورة آل عمران: الآية (77).

⁵ فتح القدير، الشوكاني، ص 227.

⁶ سورة النساء: الآية (56).

⁷ ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله، أحمد بن حنبل، صبري بن

سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، الرياض، 1424هـ-2003م، ط 1، ص 60.

2.2 مسألة إخلاف الوعيد.

استدل بعضهم على وجوب فناء النار من باب إخلاف الوعيد، فقالوا: أن في إخلاف الوعيد كرم وعفو يثنى عليه، وأوجبوا إخلاف الوعيد على الله تعالى.

و"أما الوعيد فيجوز الخلف فيه عند الأشاعرة فيما إذا كان وارداً فيما يجوز العفو عنه، فالقول بجواز إخلاف الوعيد لا يناهض خلود الكفار في النار، فإنه لا يجوز العفو عن الكفر، وقد قامت الأدلة القطعية على خلودهم فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾¹، وهذه الآية مقيدة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾²، وذهبت الماتريدية إلى أنه يمتنع تخلف الوعيد كما يمتنع تخلف الوعد.

وعلى طريقة الأشاعرة فلا بد من نفوذ الوعيد في طائفة من كل صنف من العصاة أقلها واحد.. نعم قد ورد تعذيب بعض الموحدين والشفاعة فيهم، لكن لا يعم الأنواع كلها"³.

يتبين مما سبق أن القول بخلود الكفار في النار لا يندرج تحت مسألة إخلاف الوعيد لأن الأدلة القطعية قد قامت على تأييدهم؛ فيكون ذلك من باب تبدل القول، وإنما قد اختلفوا في جواز إخلاف الوعيد في حق بعض العصاة من الموحدين لأن العموم يدل على أفرادهِ دلالة ظنية عند الشافعية فيكفي لصدق الخبر وقوعه على فرد من الأفراد، وأما عند الحنفية فإن العموم يدل على أفرادهِ دلالة قطعية، وبالتالي يمتنع تخلف الوعيد كما يمتنع تخلف الوعد، والله أعلم.

وفي تمهيد الأوائل:

"فإن قال: فما يؤمنكم أن يغفر الله لسائر الكفرة أو لبعضهم، وإن كان قد قدم وعيده لهم بالنار؟

قيل له: يؤمن من ذلك توقيف النبي ﷺ، وإجماع المسلمين الذين لا يجوز عليهم الخطأ، أن الله لا يغفر لهم، ولا لأحد منهم، لأن الأمة بأسرها نقلت عن شاهد النبي ﷺ وهو حجة وأهل

¹ سورة النساء: الآية (48).

² سورة الزمر: الآية (53).

³ ينظر: فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم بن محمد الباجوري، تحقيق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، مكتبة دار الدقاق، دمشق، سوريا، 1437هـ-2016م، ط2، ص290-291، ص521.

تواتر أنهم علموا من دينه ضرورة أن جميع الكفار في النار خالدين فيها، وعرفوا قصده إلى استغراق الوعيد لجميعهم، وإرادته لكلهم، وأن الله يفعل ذلك بسائرهم، ولولا هذا الإجماع والتوقيف الذي اضطررنا إليه، لجاز العفو عما سألت عنه.¹

"فظواهر آي القرآن في الوعد والوعيد لا توجب القضاء بتعميم ولا تخصيص بصور الألفاظ وصيغتها، لأن ذلك يرد مرة والمراد بها البعض، ويرد مرة والمراد بها الكل، فلا يمكن القضاء لأجل صورته بتعميم دون تخصيص أو تخصيص دون تعميم، وإنما قطعنا بوعيد الكافرين وعموم ذلك في جملتهم لا لأصل صورة الأخبار بل للإجماع الذي قارنه، وكذلك الوعد في جملة المؤمنين".²

قال ابن عطية في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾³:

"وقال أهل السنة وأحق: آيات الوعد ظاهرة العموم، وآيات الوعيد ظاهرة العموم، ولا يصح نفوذ كلها لوجهه بسبب تعارضها، كقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾⁴، وهذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات الوعد والوعيد وقوله: ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾⁵، فلا بد أن نقول: إن آيات الوعد لفظها لفظ عموم، والمراد بها الخصوص في المؤمن المحسن، وفي التائب، وفي من سبق في علمه تعالى العفو عنه دون تعذيب من العصاة، وأن آيات الوعيد لفظها لفظ العموم، والمراد بها الخصوص في الكفرة وفي من سبق في علمه تعالى أنه يعذبه من العصاة، وتحكم بقولنا: هذه الآية النص في موضع النزاع، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾⁶، فإنها جلت الشك وردت على الطائفتين المرجئة والمعتزلة، وذلك أن قوله تعالى ﴿إِنَّ

¹ ينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر الباقلاني، ص 402.

² ينظر: مقالات أبي الحسن الأشعري، محمد بن الحسن بن فورك، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السابح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ-2005م، ط 1، ص 168.

³ سورة النساء: الآية (48).

⁴ سورة الليل: الآيتان (15-16).

⁵ سورة الجن: الآية (23).

⁶ سورة النساء: الآية (48).

اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، فصل مجمع عليه، وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ فصل قاطع بالمعتزلة راد على قولهم رداً لا محيد عنه، ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصح قول المرجئة، فجاء قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ راداً عليهم، موجباً أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن¹.

¹ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ص 65.

الفصل الثاني: دعوى بقاء النار وأدلتها ومناقشتها

1. القائلون ببقاء النار وتحرير أقوالهم في هذه المسألة

1.1 الفرق القائلة ببقاء النار من المسلمين.

1.1.1 أهل السنة والجماعة:

"إن أهل السنة والجماعة¹ قد اتفقوا على الأصول الكبرى للعقائد، ومن هذه الأصول أنه لا يكفر أحد بذنب لم يستحله، أي أن مجرد الذنب لا يُكفر أحداً، إلا ذنباً قام به الواحد على سبيل الاستحلال فهذا يُكفر لا بفعل الذنب بل باستحلاله. واتفقوا على أن أهل الكبائر ما داموا لم يخرجوا من الإيمان، فإنهم لا يخلدون في جهنم، وإن دخلوها فترة—طالت أو قصرت—استيفاء لما وجب عليهم شرعاً من العذاب. واتفقوا على أن الكفار خالدون في النار، وجعلوا ذلك من أصولهم التي يفترون بها عن غيرهم من أهل القبلة، وأجمعوا على أن من خلده الله في النار من الكافرين، والمشركين، والمنافقين، ومن شاء من خلقه، بعد من يخرج منه بالتوحيد، والشافعة، مخلدون فيها أبداً خلوداً لا انقطاع له ولا انقضاء، وأنه لا ذبح فيها، ولا موت. وقد نص على ذلك أئمتهم من المتقدمين والمتأخرين من علماء أهل السنة، علماً بأن شيوع هذا الأصل عنهم كافٍ عن الاستطراد في حشد الأقوال"².

¹ "وهم الفرقة الثالثة والسبعون، أهل السنة والجماعة من فريقَي الرأي والحديث دون من يشتري لهُو الحديث، وفقهاء هذين الفريقين وقرؤهم ومحدثوهم، ومتكلمو أهل الحديث منهم، كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته، وعدله، وحكمته، وفي أسمائه وصفاته، وفي أبواب النبوة والإمامة، وفي أحكام العقبي، وفي سائر أصول الدين، وإنما يختلفون في الحلال والحرام من فروع الأحكام، وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق، وهم الفرقة الناجية، ويجمعها الإقرار بتوحيد الصانع وقدمه، وقدم صفاته الأزلية، وإجازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل، مع الإقرار بكتب الله ورسله، وبتأييد شريعة الإسلام، وإباحية ما أباحه القرآن، وتحريم ما حرمه القرآن، مع قبول ما صح من سنة رسول الله ﷺ، واعتقاد الحشر والنشر، وسؤال الملكين في القبر، والإقرار بالحوض والميزان." ينظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص19.

² ينظر: أ. أصحاب النار ومصيرهم في الكتاب والسنة، سعيد عبد اللطيف فودة، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، 1429هـ-2008م، ط1، ص57.

ب. الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن ابن القطان، تحقيق: حسن بن فوزي الصعيدي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1424هـ-2004م، ط1، ج1، ص53.

وهذه المسألة مذكورة في كتب العقيدة في باب السمعيات، وقد ذكرها معظم المؤلفون، وردوا فيها على من زعم عدم خلق الجنة والنار بعد، وأكدوا فيها على أن الجنة والنار حق، وأنهما مخلوقتان لا تفنيان أبداً؛ "(والجنة حق والنار حق، وهما مخلوقتان الآن، موجودتان، باقيتان، لا تفنيان، ولا يفنى أهلها): أي دائمتان لا يطرأ عليهما عدم مستمر لقوله تعالى في حق الفريقين: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، وذهبت الجهمية إلى أنهما تفنيان ويفنى أهلها، وهو قول باطل مخالف للكتاب، والسنة، والإجماع، ليس عليه شبهة فضلاً عن حجة.¹" وقال عامة أهل القبلة: إن الجنة والنار لا تبيدان؛ فأهل الجنة يتنعمون أبداً، وأهل النار يعاقبون أبداً²، وقد ذكر الطحاوي³ هذه المسألة في كتابه (متن العقيدة الطحاوية)، فقال: "والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً، ولا تبيدان، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه".⁴، ومنهم من أورد في شرحه لهذا المتن عين الأقوال التي ذكرها ابن القيم سابقاً نقلاً عن شيخه، مع أنه ليس بينها وبين المتن أدنى صلة، بل إن الطحاوي نفى بصريح العبارة فناء كلاً من الجنة والنار؛ ولو كان في المسألة

ج. الاعتبار ببقاء الجنة والنار، تقي الدين أبو الحسن السبكي، وفقية الأمين غازي للفكر القرآني، د.ت، د.ط، ص10.

¹ ينظر: شرح العقائد النسفية لأبي حفص عمر بن محمد النسفي، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، علق عليه: عبد السلام بن عبد الهادي سنار، مكتبة دار الدقاق، دمشق، سوريا، 1436هـ-2016م، د.ط، ص134-136.

² أصول الدين، أبو اليسر محمد البزدوي، تحقيق: هانز بيتر لنس، ضبطه وعلق عليه: أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1424هـ-2003م، د.ط، ص171.

³ "هو الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف من أهل قرية طحا من أعمال مصر، ولد في سنة تسع وثلاثين ومائتين، برز في علم الحديث وفي الفقه، وتفقه بالقاضي أحمد بن أبي عمران الحنفي وجمع وصنف، وارتحل إلى الشام فلقي القاضي أبا خازم وتفقه أيضاً عليه، ومن نظر في توالييف هذا الإمام علم محله من العلم، وسعة معارفه، وقد كان ناب في القضاء عن أبي عبيد الله محمد بن عبدة، قاضي مصر سنة بضع وسبعين ومائتين، صنف (اختلاف العلماء)، و(الشروط)، و(أحكام القرآن)، و(معاني الآثار)، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة". ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج11، ص361-362.

⁴ العقيدة الطحاوية بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، أبو جعفر الطحاوي الحنفي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1416هـ-1995م، ط1، ص26.

أقوالٌ كما زعم ابن أبي العز¹ في شرحه للعقيدة الطحاوية²؛ لما قال الطحاوي: (لا تفتيان أبداً)، أي لا تفتنى الجنة، ولا تفتنى النار، ولا يفتنى من فيها، ولا فرق بين الجنة والنار في مصاديق هذه العبارة؛ إذ إن القول بفناء النار دون الجنة لا يصح مصداقاً لقوله (ولا تفتيان)، ثم أكد على عدم الفناء بقوله: (ولا تبیدان).

وفي شرح المواقف:

"(أجمع المسلمون على أن الكفار مخلدون في النار أبداً لا ينقطع عذابهم) سواء بالغوا في الاجتهاد والنظر في معجزة الأنبياء ولم يهتدوا، أو علموا نبوتهم وعاندوا أو تكاسلوا (وأنكره) أي تخليدهم في النار (طائفة) خارجة عن الملة الإسلامية (لوجوه: الأول: أن القوة الجسمانية كما تقدم متناهية) في العدة والمدة (فلا بد من فنائها والجواب منع تناهيها وقد مر، والثاني من تلك الوجوه: دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن قضية العقل، الجواب: هذا بناء على) اعتبار (شرط البنية واعتدال المزاج) في الحياة (و) نحن (لا نقول به بل هي) أي الحياة (بخلق الله

¹ هو صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالح، اشتغل قديماً ومهراً ودرّس وأفنى، وخطب بحسبان مدة، ثم ولي قضاء دمشق سنة تسع وسبعين، ثم ولي قضاء مصر بعد ابن عمه، فأقام فيها شهراً ثم استعفى ورجع إلى دمشق على وظائفه، ثم بدت منه هفوة فاعتقل بسببها، وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.

وهو حنفي في الفقه حسب ما يقال، إلا أنه كان مسaireً وموافقاً لمذهب ابن تيمية في العقائد، وهذا يظهر جلياً في شرحه؛ فأراد ترويجه بين الناس من خلال هذا الشرح، ففي شرحه للطحاوية أدرج في هذا الشرح من أوله إلى آخره ما فيه نقضٌ ونفيٌ وإبطالٌ لكثيرٍ من مسائل هذا المتن، والأولى في هذا الشرح أن يكون نقداً وليس شرحاً.

ينظر: أ. شذرات الذهب، ابن العماد العكري، ج8، ص557.

ب. إنباء الغمر بأنباء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ-1969م، د.ط، ج1، ص409.

ج. شرح العقيدة الطحاوية في أصول الدين (2)، سعيد فودة، دروس منشورة على اليوتيوب بتاريخ 24-2-2018م.

https://www.youtube.com/watch?v=arX8Ey3FnJo&list=RDCMUClvw.eHDio4V1n7HYxqvH0vg&start_radio=1&rv=arX8Ey3FnJo&t=952

² ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، د.ت، د.ط، ص624-625.

تعالى، وقد يخلقها دائماً وأبداً، أو يخلق في الحي قوة لا يخرب معها بنيته بالنار) مع كونه متأدياً بها، (الثالث منها: النار يجب فناؤها الرطوبة بالتجربة قليلاً قليلاً فتنتهي) الحال (بالآخرة إلى عدمها) لكونها متناهية، (و) حينئذ (تتفتت الأجزاء) التي كانت متماسكة بتلك الرطوبة (فلا تبقى الحياة) فلا يدوم العقاب. (الجواب: فناء الرطوبة بالنار غير واجب عندنا بل هو بإفناء الله تعالى) إياها بقدرته، وقد لا يفنيها (أو يفنيها ويخلق بدلها مثلها) فلا تتفتت الأجزاء بل تدوم الحياة¹.

"فإن قيل: فما يؤمنكم أن يغفر الله لسائر الكفرة أو لبعضهم، وإن كان قد قدّم وعيده لهم بالنار؟

يقال: يؤمن من ذلك توقيف النبي ﷺ، وأجماع المسلمين الذين لا يجوز عليهم الخطأ، أن الله لا يغفر لهم ولا لأحد منهم؛ لأن الأمة بأسرها نقلت عن شاهد النبي ﷺ، وهم حجة، وأهل تواتر أنهم علموا من دينه ضرورة أن جميع الكفار في النار خالدين فيها، وعرفوا قصده إلى استغراق الوعيد لجميعهم، وإرادته لكلهم، وأن الله يفعل ذلك بسائرهم، ولولا هذا الإجماع والتوقيف الذي اضطررنا إليه، لجاز العفو عما سألت عنه.²

"فإن قيل: إن هذا الإجماع أنه غير معلوم، فإن هذه المسائل لا يقطع فيها بإجماع، نعم، قد يُظن فيه الإجماع وذلك قبل أن يُعرف النزاع، وقد عُرف النزاع فديماً وحديثاً، بل إلى الساعة. يقال: الإجماع لا يُعترض عليه بأنه غير معلوم، بل يُعترض بنقل خلافٍ صريح، ولم يُنقل ذلك، وإنما تصّرفه بعضهم من فهمهم³.

يتبين مما سبق عدم ظهور مخالفين في هذه المسألة من الفرق الإسلامية، وكذلك فإنه لم يُذكر في كتب العقيدة على اختلاف مؤلفيها وعصورهم وجود خلافٍ في مسألة فناء النار كما زُعم متأخراً، ولو كان القول بفناء النار قولاً وارداً عن السلف لكان أحرى بالطحاوي ذكر هذا الخلاف.

¹ ينظر: شرح المواقف لعصّد الدين عبد الرحمن الإيجي، الشريف علي بن مُحمّد الجرجاني، ومعه حاشيتنا السيالكوتي والجلبي على شرح المواقف، ضبطه وصححه: محمود عمر الدميّاطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ -

1998م، ط1، ج8، ص335-336.

² تمهيد الأوائل، أبو بكر الباقلاني، ص402.

³ ينظر: الاعتبار ببقاء الجنة والنار، تقي الدين السبكي، ص18.

1.1.2 المعتزلة.

النار دار عذاب للعصاة، والكفار؛ وقد اختلفت الفرق الإسلامية في حكم العصاة ومرتكبي الكبائر، "إلا أنهم على افتراقهم اتفقوا -عدا الجهمية- على خلود الكفار في النار أبداً وبالتالي اتفقوا على بقاء النار أبداً، فأما المعتزلة¹ لم يفرقوا بين الفاسق والكافر، وقالوا بخلودهم في النار أبداً، فالنار عندهم باقية إلا أنها دار خلود للكفار والفساق الذين لم يتوبوا، وخالفهم أبو الهذيل العلاف فقال بانقطاع حركات أهل الخلد²" -كما ذكر سابقاً-.

قال عبد الجبار³ في الأصول الخمسة:

"فقد دل بهذه الآيات أن كل من ارتكب الكبائر فهو من أهل النار إلا أن يتوب.

فإن قيل: أفتقولون: إنهم يخلدون في النار ويقيمون فيها دائماً أم يخرجون منها؟

ف قيل له: بل يخلدون فيها على ما أخبر الله عز وجل في كتابه⁴؛ فدل ذلك على قولهم ببقاء

النار، وقال في آية الاستثناء التي استشهد بها أصحاب الفريق السابق على فناء النار:

"فإن قيل: فقد قال عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ (106)

¹ "هم فرقة من الفرق الإسلامية، ظهرت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، أسسها واصل بن عطاء، وسبب تسميتها أن الحسن البصري قد طرد واصل بن عطاء من المجلس، فاعتزله وذلك لأنه يرى أن الفاسق في منزلة بين منزلتين، وانضم إليه عمرو بن عبيد، فسموا بالمعتزلة، وأهم أفكار المعتزلة أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، وأن العبد هو الفاعل للخير والشر، والاعتماد على العقل كلياً في الاستدلال لعقائدهم، والقول بخلق القرآن، واستحالة رؤية الله تعالى بالبصر". ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ص72-73.

² ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ص76-78.

³ "هو القاضي عبد الجبار ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمداني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، ولي قضاء القضاة بالري، عَمَر دَهراً في غير السنة، وتصانيفه كثيرة، ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب (دلائل النبوة)، أبان فيه عن علم وبصير جيدة، وقد طال عمره، ورحل إليه الناس من الأقطار، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مائة، من أبناء التسعين".

ينظر: أ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج13، ص42.

ب. شذرات الذهب، ابن العماد العكري، ج5، ص78.

⁴ ينظر: الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي، تحقيق: فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1998م، ط1، ص91.

خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ¹ وهذا يدل على أنهم لا يبقون فيها أبداً. قيل لهم: لو دل هذا على ما قلتم لدل قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خُلِدِينَ فِيهَا﴾² الآية. فإذا دل ذلك في أهل الجنة فكذلك ما قلت دائماً، وإنما أراد الله عز وجل أن يبعد خروجهم من النار بأن علّقه بدوام السماوات والأرض لبعد ذلك عند أهل اللغة، كما قال الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وصار القار كاللبن الحليب³.

1.1.3 الخوارج.

الخوارج⁴ من الفرق "التي اختلفت في مصير أصحاب الكبائر فزعم أكثرهم خلودهم في النار، فالنار دار خلود ليس للكفار فقط، وإنما لأصحاب الكبائر أيضاً، والخوارج من أوائل الفرق التي شذت عن جماعة المسلمين، وانفردت بأقوال يختصون بها، ويتميزون عن سائر المسلمين بالاعتقاد بها، وكانوا يبالغون بتنزيه أنفسهم عن الوقوع في الغلط أو مخالفة الشريعة، ويقولون: إن أصحاب الكبائر من أصحاب النار الذين تدوم صحبتهم في النار كالكفار لا فرق مطلقاً"⁵.

1.1.4 المرجئة.

"الإرجاء على معنيين: أحدهما بمعنى التأخير، والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما

¹ سورة هود: الآيات (106-107).

² سورة هود: الآية (108).

³ الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد أبادي، ص 91-92.

⁴ "الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى: خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان، وأول من خرج على أمير المؤمنين علي عليه السلام جماعة ممن كان معه في حرب صفين، ويجمع فرقه القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ويكفرون أصحاب الكبائر إلا النجدة؛ فإنها لا تقول ذلك، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً". ينظر: أ. الملل والنحل، الشهرستاني، ص 133-134.

ب. مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ص 59.

⁵ ينظر: أصحاب النار ومصيرهم، سعيد فودة، ص 71-74.

بالمعنى الثاني فظاهر؛ فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة¹.

واختلفت المرجئة في تخليد الله الكفار على مقاتلين، فقالت الفرقة الأولى منهم وهم أصحاب جهم بن صفوان: الجنة والنار تفتيان وتبيدان، وقال المسلمون كلهم إلا جهماً: إن الله يخلد أهل الجنة في الجنة، ويخلد الكفار في النار.²

1.1.5 الشيعة.

"الشيعة الإمامية³ يوافقون أهل السنة في أن الكفار هم فقط المخلدون في النار، وأن الفاسق لا يخلد فيها وإن دخلها لينال العقاب الذي استحقه، ولكن لهم بعض النظرات الخاصة في سبب التخليد للكافر على تفاوت بينهم في ذلك"⁴.
قال نصير الدين الطوسي⁵:

¹ "وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة؛ فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار، ويحكى عن مقاتل بن سليمان: أن المعصية لا تضر صاحب التوحيد والإيمان، وأنه لا يدخل النار مؤمن. والصحيح من النقل عنه: أن المؤمن العاصي ربه يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم؛ يصيبه لفح النار وحرها ولهيبها؛ فيتألم بذلك على قدر معصيته، ثم يدخل الجنة؛ ومثل ذلك بالحبة على المقلاة الموججة بالنار. لعمرى! كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه مرجئة السنة، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول: الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص؛ ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان، وله سبب آخر؛ وهو أنه كان يخالف القدريّة، والمعتزلة، والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر: مرجئاً، وكذلك الوعديّة من الخوارج؛ فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريق المعتزلة والخوارج والله أعلم." ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ص159-161.

² ينظر: أ. الملل والنحل، الشهرستاني، ص159-161.

ب. مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ص90.

³ "الشيعة هم الذين شايعوا علياً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووحيّة، إما جلياً أو خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عضمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه." ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ص167.

⁴ أصحاب النار ومصيرهم، سعيد فودة، ص125.

⁵ "هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، شيخ الشيعة، وصاحب التصانيف الجليلة، قدم بغداد، وتفقه أولاً للشافعي، ثم أخذ الكلام وأصول القوم عن الشيخ المفيد رأس الإمامية، ولزمه وبرع، وعمل التفسير، وأملى أحاديث

"اتفقوا على أن المؤمن الذي عمل عملاً صالحاً يدخل الجنة ويكون خالداً فيها، وعلى أن الكافر يدخل جهنم ويكون خالداً فيها"¹.

"فالإمامية قد اتفقت على أن الوعيد بالخلود في النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعموا أن الوعيد بالخلود في النار عام في الكفار وجميع فساق أهل الصلاة"².

إن الشيعة لم يخالفوا في مسألة بقاء النار وخلود الكفار فيها؛ إلا أنهم قدموا حلولاً مغايرة لما يراه بعضهم إشكالية العذاب المستمر مقابل الكفر في الحياة الدنيا المحدودة، ولا يقبلون الحل الذي قيل به سابقاً من القول بفناء النار، إذ إنهم يرونه معارضاً لصريح القرآن الكريم؛ فقالوا: "إن من أخطر الإشكالات التي تدور في أذهان الكثير من الناس هو إشكال خلود العقاب للمفسدين واستمرار العذاب لغير المؤمنين في جهنم، فلا بد أن يتحمل هؤلاء العذاب المؤلم على امتداد الزمان بلا نهاية؛ فما هي العلاقة الموجودة بين عمل الدنيا المحدود وجزائه اللامحدود في الآخرة؟

فلا يتناسب العقاب الأبدي مع الفساد والانحراف المحدود الذي ارتكبه هؤلاء في حياتهم الدنيا، حتى وإن كانت حياتهم بأجمعها قد امتلأت بالأخطاء والذنوب، فمهما يغرق الإنسان طيلة عمره في الكفر والإلحاد والفساد فإنه لا يتجاوز مدة قرن واحد، بينما هذه المدة التي تبدو طويلة ليست إلا لحظة عابرة في إزاء الخلود والأبدية.

وقد لجأ بعض العلماء إلى تأويل الآيات المتعلقة بخلود المجرمين في العذاب، وذلك لحل التناقض المتصور بين العدالة الإلهية والخلود في العذاب فقالوا: إن الخلود هنا قد استعمل مجازاً والمقصود منه هو المدة الطويلة، وتخيلوا أنهم قد تخففوا من هذا الإشكال ودفعوه، ولكنه لا مبرر للجوء

ونوادر في مجلدين، عامتها عن شيخه المفيد، وأعرض عنه الحفاظ لبدعته، وكان يسكن بالكرخ، محلة الرافضة ثم تحول إلى الكوفة. توفي في المحرم سنة ستين وأربع مائة". ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج13، ص450.

¹ قواعد العقائد، نصير الدين الطوسي، تحقيق: علي الرباني الكلبايكاني، لجنة إدارة الحوزة العلمية، قم، 1416هـ، د.ط، ص149.

² ينظر: رسائل ومقالات تبحث في مواضيع فلسفية وكلامية وفقهية وفيها الدعوة إلى التقريب بين المذاهب، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم، 1425هـ، ط2، ج1، ص370.

إلى هذا المعنى وهو بعيد عن حقيقة الأمر، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الفرض لم يرافقه دليل يمكن الاعتماد عليه، ومن الواضح أنه لا يجوز لنا التأويل إلا إذا لم يتعارض مع الآيات الصريحة، بينما يصرح القرآن بخلود الذين بنوا لأنفسهم مصيراً بائساً بإرادتهم في العقاب، ويعتبر الخوف من عقاب الله العادل من أهم العوامل الدافعة لكثير من الناس إلى تنفيذ الأوامر الإلهية، والدور الذي يقوم به العامل الديني في كف الإنسان وضبطه أهم وأعظم تأثيراً في نفوس الناس من استعمال القوة والإرغام.

والآن لننظر كيف يمكن نسبة اللامساواة إلى فعل الله بإلقاءه المجرمين والطاغين والملحدين في العذاب الأبدي؟ وكيف يمكن نسبة هذا العمل البعيد عن العدالة إلى الذات الأزلية؟¹.

يرى الكاتب أن الجزاء الأخروي لا يندرج تحت الجزاء الاعتباري الذي يرجع إلى تقدير القاضي وإنما هو نتيجة طبيعية للعمل الإنساني؛ فالأعمال الإنسانية هي علة الجزاء الأخروي. "إن هذا الاستنتاج ناقص من جهة كونه مبنيّاً على تصور أن العقاب في العالم الآخر، هو من ألوان الجزاء الاعتباري الذي يتفق عليه المقننون ويضعون العقاب آخذين بعين الاعتبار مقدار الجريمة وشدتها. وبهذه الصورة يبدو عدم التناسب بين الجرائم المرتكبة في الدنيا والعقاب الدائم في الآخرة.. إلا أن الألم والعذاب في يوم القيامة من خواص العمل؛ فللأعمال نتائج طبيعية تنزل بساحة الكفار والمجرمين في العالم الآخر، ويكشف القرآن الكريم الستار عن وجه الأسرار فيقول:

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾²، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رُبُّكَ أَحَدًا﴾³، فالقرآن الكريم في هذه الآيات يقول إن الناس يرون أعمالهم حاضرة في يوم القيامة، أي أن صورة العمل الإنساني تحضر أمامه هناك بشكلها الأخروي، وعلى العكس مما نتصوره نحن من أن عملنا أمر آني وعابر، فإن بعض أعمالنا ثقيلة الوزن إلى حد أنها تمتد إلى أبعاد متعددة.

¹ ينظر: أصول العقائد في الإسلام، مجتبي الموسوي اللاري، تعريب: محمد عبد المنعم الخافاني، مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم، قم، 2008م، ط8، ج3، ص187-192.

² سورة الجاثية: الآية (33).

³ سورة الكهف: الآية (49).

ومن ناحية أخرى فإنه من خطأ هذا الطراز من التفكير الذي يربط بين العمل الفاسد والجزاء عليه برابطة زمانية، وذلك لأن زمان الجزاء متناسب مع كيفية العصيان والذنب، إذن بين عملنا الصالح والقيح، والثواب والعقاب الأخرى يوجد لون من الارتباط الواقعي، بينما كمية الزمان ههنا ليست منظورة على الإطلاق، وإذا كان الجزاء والعقاب نتيجة مباشرة لنفس العمل فإنه لا يبدو عندئذ من المنطقي طرح أصل المساواة من حيث الكيفية أو الكمية، إذن علاقة العقاب بالذنب والعصيان ليست علاقة زمانية، لا في هذا العالم ولا في العالم الآخر¹.

"ولا يخفى أن الأساس الذي اعتمدوا عليه في ذلك لا يسلم لهم، فإنه راجع إلى كون الله تعالى فاعلاً لا على سبيل الاختيار، بل على سبيل العلة، وهذا فيه نفى صريح لكونه تعالى مختاراً²."

¹ ينظر: أصول العقائد في الإسلام، مجتبي الموسوي اللاري، ج3، ص194-196.

² أصحاب النار ومصيرهم، سعيد فودة، ص133.

1.2 الأشخاص الذين ذكروا هذه المسألة، وألفوا فيها.

1.2.1 أبو عمرو الداني.

أبو عمرو الداني¹ هو أحد الأئمة في علم القرآن رواياته وتفسيره، وإليه المنتهى في تحرير علم القراءات، وعلم المصاحف، مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو وغير ذلك²، ألف كتاباً مهماً في العقيدة سماه (الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات) وذلك جواباً على سؤال طلابه، قال:

"فإنكم سألتموني أن أقتضب لكم جملة كافية وأصولاً جامعة في الاعتقادات وأصول الديانات التي يلزم اعتقادها جميع المسلمين، ولا يسع جهلها كل المكلفين، من العلماء والمقلدين، من الذكور والإناث، والأحرار العبيد، ممن جرى عليه القلم، وبلغ حد التكليف بالحلم، فأجبتكم عن سؤالكم بما هو لازم لكم، ومفترض عليكم، وما إذا تدينتم واعتقدتموه صرتم إلى اعتقاد الحق، وسلمتم من البدع والباطل، وسلكتم طريق من مضى من السلف، وسنن من تبعهم من الخلف؛" فهذا هو أبو عمرو الداني يبين قول السلف في العقيدة، وحري به ذلك فهو إمام علم القرآن وقد توفي عام أربع وأربعين وأربع مائة للهجرة؛ فإن كان هناك قول للسلف في مسألة فناء النار فالأولى أن يذكر أبو عمرو الداني ذلك.

قال في فصل الجنة والنار:

¹ " الإمام الحافظ المجوّد المقرئ الحاذق عالم الأندلس أبو عمرو؛ عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم الأندلسي القرطبي ثم الداني، ويُعرف قديماً بابن الصَّيرِيّ مصنّف (التيسير) و(جامع البيان)، وغير ذلك. ذكر أن والدَه أخبره أن مولدي في سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة فابتدأت بطلب العلم في أول سنة ست وثمانين، ورحلتُ إلى المشرق سنة سبع وتسعين، سمع أبا مسلم مُجَدِّد بن أحمد صاحب البغوي وهو أكبر شيخ له، قال الحميدي: (هو محدث مُكثَر ومقرئ متقدم سمع: بالأندلس والمشرق)، وقال أبو القاسم بن بشكوال: كان أبو عمرو أحد الأئمة في علم القرآن رواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعراجه وجمع في ذلك كله تواليف حسناً مفيدة وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقْلِهِ وكان حسن الخطِّ جيّد الضبط، من أهل الذكاء والحفظ والتفنن في العلم دَنيّاً فاضلاً ورعاً سُنياً). قال الذهبي: (إلى أبي عمرو المنتهى في تحرير علم القراءات وعلم المصاحف مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو وغير ذلك). مات أبو عمرو في دانية يوم نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربع مائة، ودفن ليومه بعد العصر بمقبرة دانية، ومشى سلطان البلد أمام نعشه وشيَّعه خلق عظيم رحمه الله تعالى". ينظر: سير أعلام

النبلاء، الذهبي، ج13، ص317-321.

² ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج13، ص320.

"ومن قولهم: إن الله سبحانه قد خلق الجنة والنار قبل خلق آدم عليه السلام، خلقهما للبقاء لا للفناء وأعدهما لأهل الثواب والعقاب، على ما أخبر به تعالى في كتابه. وأن الجنة في أعلى عليين، والنار في أسفل سافلين، وأنهما لا يفنيان، ولا يموت أهلوهما، قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾¹، وقال: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾²، وقال: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾³.. وقال في الكفار: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾⁴، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾⁵؛ والمقيم: الدائم الثابت الذي لا ينتقل ولا يزول، وقال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾⁶7.

لقد فصل أبو عمرو الداني الدليل على بقاء الدارين؛ الجنة والنار على حدة، وأكد على بقاءهما، وبقاء أهلهما، ودل على ذلك بالآيات القرآنية، وسيأتي تفصيل أقوال المفسرين فيها.

1.2.2 تقي الدين السبكي.

ألف تقي الدين السبكي⁸ تصنيفاً اسمه (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) ذكر في مطلعته أن

¹ سورة العنكبوت: الآية (64).

² سورة غافر: الآية (39).

³ سورة الدخان: الآية (56).

⁴ سورة المائدة: الآية (37).

⁵ سورة التوبة: الآية (68).

⁶ سورة فاطر: الآية (36).

⁷ ينظر: الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، أبو عمرو الداني، تحقيق: دغس بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد بن حنبل، الكويت، 1421هـ-2000م، ط1، ص195-196.

⁸ "هو الإمام تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الشافعي المفسر الحافظ الأصولي اللغوي النحوي المقرئ البياني، النظار البار، شيخ الإسلام، أوجد المجتهدين. قال السيوطي: (ولد مستهل صغر سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وقرأ القرآن على التقي بن الصايغ، والتفسير على العلم العراقي، والفقه، والأصول، والنحو، والحديث). وبرع في الفنون، وتخرج به خلق في أنواع العلوم، وولي قضاء الشام بعد الجلال القزويني، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، والشامية البرانية، والمسروية، وغيرها. وكان محققاً، مدققاً، نظاراً، له في الفقه وغيره الاستنباطات الجلييلة، والدقائق، والقواعد المحررة التي لم يسبق إليها، وكان منصفاً في البحث على قدم من الصلاح والعفاف،

مسألة بقاء الجنة والنار من المعلوم من الدين بالضرورة، واستدل بالكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وبأن الإجماع وارد في هذه المسألة، ثم قال:

"فهذه الآيات التي استحضرتها في بقاء الجنة والنار، وبدأنا بالنار لأننا وقفنا على تصنيف بعض أهل العصر في فنائها.. وتضافر الآيات يفيد القطع بإرادة حقيقتها ومعناها، وأن ذلك ليس مما استعمل فيه الظاهر في غير المراد به.."، ثم أشار إلى تصنيف ابن تيمية الذي ذكر في مطلع ثلاثه أقوال في فناء الجنة والنار، ثم قال: "ومعاذ الله، وأنا أبرئ السلف عن ذلك، ولا أعتقد أن أحداً منهم قاله، وإنما روي عن بعضهم كلمات تُتأول كما تُتأول المشكلات التي ترد وتحمل على غير ظاهرها، فكما أن الآيات والأحاديث يقع فيها ما يجب تأويله، كذلك كلام العلماء يقع فيه ما يجب تأويله..، وليس ذلك من دأب العلماء، ودأب العلماء التنقير عن معنى الكلام والمراد به ما انتهى إلينا عن قائله، فإذا تحققنا أن ذلك مذهبه واعتقاده نسبناه إليه، وأما بدون ذلك فلا، ولا سيما في مثل هذه العقائد التي المسلمون مطبقون فيها على شيء، كيف يُعمد إلى خلاف ما هم عليه ينسبه إلى جلة المسلمين وقدة المؤمنين، ويجعلها مسألة خلاف كمسألة في باب الوضوء".¹

ومن ثم ناقش تقي الدين الأدلة التي استدل بها ابن تيمية على فناء النار وبَيّن وجه دلالتها.

1.2.3 الصنعاني.

ألف الصنعاني² أيضاً تصنيفاً لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، وأشار إلى تصنيف ابن تيمية،

وصنف نحو مائة وخمسين كتاباً مطولاً ومختصراً، وتوفي بمصر بعد أن قدم إليها، وسأل أن يولى القضاء مكانه ولده تاج الدين فأجيب إلى ذلك". ينظر: شذرات الذهب، ابن العماد العكري، ج8، ص309-310.

¹ ينظر: الاعتبار ببقاء الجنة والنار، تقي الدين السبكي، ص9-11.

² "هو مُجد بن إسماعيل بن صلاح بن مُجد الحسيني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن. يلقب (المؤيد بالله) ابن المتوكل على الله، وهو الإمام الكبير المحدث الأصولي المتكلم الشهير، ولد بمدينة كحلان، ونشأ بصنعاء. أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام، قرأ كتب الحديث وبرع فيها، وهو لا ينسب إلى مذهب بل مذهبه الحديث، له نحو مئة مؤلف، من كتبه (توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار)، و(سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني)، توفي بصنعاء عام اثنين وثمانين ومئة وألف هجري". ينظر: أ. الأعلام، الزركلي، ج6، ص38-39.

وتلميذه ابن القيم، الذي تحدث فيه عن مسألة فناء النار، ووصفه بأنه "حامل لوائها، ومشيد بنائها، وحاشد خيل الأدلة منها ورجلها، ودقها وجلها، وكثيرها وقليلها.." ¹؛ ولو كانت هذه المسألة قديمةً في الخلاف لذكرها من سبق ابن تيمية من العلماء؛ كيف لا وهي مسألة أكبر من الدنيا وما فيها على حد قول ابن القيم، إلا أن هذه المسألة اشتهرت بهما.

وقد ناقش الصنعاني الأدلة التي ساقها ابن تيمية، وخاصة المعتمدة على النقل منها مما استند عليه من الآثار المنسوبة لبعض الصحابة، وفصل القول في سندها وبيان السقيم منه والقويم، وقال بعد ذلك:

"هذا، وبعد تحقيقك لما أسلفناه وإحاطتك علماً بما سقناه تعلم أن هؤلاء الأربعة من الصحابة الذين هم عمر، وابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد الذين عيّن شيخ الإسلام أسماءهم من الصحابة في صدر المسألة وذكر أنه نقل عنهم القول بفناء النار وذهابها وتلاشيها (هم) بريئون من هذا القول، ومن نسبته فناء النار إليهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب واستدل لهم بما ادعاه منسوباً إليهم بما لا مساس له بالدعوى كما عرفت، وحينئذ يعلم أنه ليس معه في دعواه فناء النار أحد من الصحابة الذين عينهم، وإن كانت عنده أدلة يصح نسبة هذا القول إليهم غير ما ذكره من الآيات فهذا وقتها؛ فإنه قد بذل كل وسعه في هذه المسألة.." ².

ثم ساق أقوال المفسرين في آيات الاستثناء والآيات القرآنية التي سبق أن أستدل بها في هذه المسألة، وقال:

"إذا عرفت حقيقة هذه الأقوال التي حققها الاستدلال وأسطين المفسرين، وعيون العيون من المحققين عرفت أن آية الاستثناء من المعضلات، وقد اختلفت فيه أذهان المحققين الأثبات، وقد سبق قول ابن القيم في آية الاستثناء في أهل الجنة أنه على كل تقدير أن الاستثناء فيه من المتشابه، وأن المحكم قوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ ³، و﴿أَكُلْهَا دَائِمَ

ب. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صدّيق بن حسين الفنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1307هـ-1889م، د.ط، ج3، ص191-192.

¹ رفع الأستار، الصنعاني، ص63.

² ينظر: رفع الأستار، الصنعاني، ص80.

³ سورة هود: الآية (108).

وَزُلْهُنَّ¹، وآيات الخلود التي وردت في الكتاب العزيز، فلك أن تقول بغير هذا القول في آية الاستثناء في أهل النار أنه من المتشابه، وأن المحكم ﴿خُلِدِينَ فِيهَا﴾²، و﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾³ والآيات المصرحة بخلود أهل النار في القرآن كثيرة جداً، وسيأتي عد بعضها فيرد المتشابه وهي آية الاستثناء إلى المحكم، وقد حكم الله بخلود أهل النار في النار، وتواترت الأحاديث بإخراج عصاة الموحدين، وقد ورد الاستثناء؛ فلا ندري ما أراد الله هل بإخراج العصاة من الموحدين كما قال جماهير أهل السنة، وهو المروي عن ابن عباس كما أسلفناه عنه، أو هو قريب، أو هو عين المراد، أو أراد به أمراً استأثر الله بعلمه فنقول: ﴿إِنَّمَا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾⁴..، فإن القول بأن المراد من الاستثناء فناء أهل النار، قول في الآية بلا دليل، ولا قال به من السلف أحد ولا من الخلف، وأنه ليس في يد شيخ الإسلام شيء لا من كتاب ولا من سنة ولا من صحابي كما قرناه..، ولا يصح نسبته لتلك الدعوى إلى واحد من أولئك الستة، فلم يوجد لأحد مما وجدنا عن واحد من الصحابة أنه يقول بفناء النار كما أنه لا يوجد قائل من الصحابة أنه يقول بعدم فناء النار فإن هذه المسألة وهي فناء النار لا تُعرف في عصر الصحابة، ولا دارت بينهم، فليس نفي ولا إثبات، بل الذي عرفوه فيها هو ما في الكتاب والسنة من خلود أهل النار أبداً، وأن أهلها ليسوا منها بمخرجين، وعرفوا ما ثبت من خروج عصاة الموحدين "5؛ فبين الصنعاني أن آية الاستثناء من المتشابهات والأصل ما ورد من المحكم في القرآن مما يدل على خلود النار، كما دلت على خلود الجنة، وكذلك فإن عدم ورود قول عن الصحابة في نفي فناء النار لا يعتبر دليلاً على فنائها إذ إن هذه المسألة لم تكن معروفة عندهم، ولا دار بينهم نزاع حول خلود الجنة والنار، حيث قال: "والمعلوم أنه لم يقع في ذلك العصر قول بفناء النار، ودخول الكفار جنات تجري من تحتها الأنهار، ولا أوجدنا شيخ الإسلام مع تبحره في العلوم وسعة اطلاعه على

¹ سورة الرعد: الآية (35).

² سورة آل عمران: الآية (15).

³ سورة الحجر: الآية (48).

⁴ سورة آل عمران: الآية (7).

⁵ ينظر: رفع الأستار، الصنعاني، ص 109-116.

أقوال السلف والخلف على قول واحد من الصحابة بفناء النار ودخول الكفار الجنات..¹ وأشار إلى أن ما ذهبوا إليه من مقتضى الحكمة لا يُسلم، وذلك بقوله: "وأقول لم يقيم شيخ الإسلام دليلاً على أن الحكمة المطلوبة لله في تعذيب الكفار هي زوال النجاسة الكفرية وخبثه الذي لا يزول إلا بعذاب النار، وإنما قال ذلك تظناً منه وتحسباً تفرّع عن اعتقاده فناء النار..، فيجب الاعتراف بالعجز عن إدراك حكمة الحكيم العلام، فكيف يقول شيخ الإسلام لم يكن في حكمته أن يستمر بها العذاب؟ وأين للعقول الاطلاع على أسرار حكمته، وكيف لها الوصول إلى معرفة عجائب ملكوته وجبروته"².

1.2.4 مصطفى صبري.

ألف مصطفى صبري³ رسالة بعنوان (القيمة العلمية للمتجهدين الجدد في الإسلام) (Yeni İslam Müctehidlerinin Kıymet-i İlmîyyesi)؛ ناقش فيها الرسالة التي ألفها موسى بكيف عن براهين الرحمة الإلهية، وأنها تشمل جميع الناس وحتى الكفار منهم، وأشار أيضاً إلى ابن القيم الجوزية، وابن عربي، وناقش أدلتهم على فناء النار،

¹ ينظر: رفع الأستار، الصنعاني، ص120.

² ينظر: رفع الأستار، الصنعاني، ص127-136.

³ "شيخ الإسلام مصطفى صبري من علماء الحنفية، ولد عام 1869م في طوقات في منطقة البحر الأسود في تركيا، أكمل حفظ القرآن الكريم في العاشرة من عمره، تلقى العلم من كبار العلماء أمثال محمد أمين أفندي، وأحمد عاصم أفندي، ومحمد عاطف أفندي، برع في علوم كثيرة، وعُين مدرساً للتفسير في مدرسة الواعظين وفي مدرسة المتخصصين، ومدرساً للحديث في مدرسة السليمانية، وعين رئيساً للجمعية العلمية الإسلامية، وكان قلماً لا ينبري عن كتابة الرسائل ودفع الشبهات عن الدين، وكان مخالفاً للحضارة الغربية، حريصاً على بقاء الدولة العثمانية، فسخر قلمه في سبيل الدفاع عن الحضارة الإسلامية، على الصعيد الفكري والعلمي والسياسي، وواجه صراعات شتى في سبيل ذلك، ورغم انتشار التيار الغربي ومحاوله تأثيره على الفكر الإسلامي، تصدى مصطفى صبري للدفاع عن أصول الدين وهيكله القويم الأصيل، وله في ذلك الكثير من المؤلفات منها: ما رد فيه على موسى جار الله (القيمة العلمية للمتجهدين الجدد في الإسلام) (Yeni İslam Müctehidlerinin Kıymet-i İlmîyyesi)، و(النكير على منكر النعمة من الدين والخلافة والأمة)، و(مسألة ترجمة القرآن)، و(توقيف البشر تحت سلطان القدر)، و(موقف العقل والعلم والعالم). توفي في القاهرة عام 1954م، ودفن في العباسية". ينظر: أ. دائرة المعارف الإسلامية التركية TDV İslam Ansiklopedisi، يوسف شوقي ياووز، وقف الديانة التركية، مج31، ص350-352.

ب. الأعلام، الزركلي، ج7، ص236.

وقال مصطفى صبري "بأن المرجئة سابقاً قد ادعت أنه لا عبرة للذنوب مع الإيمان وهو قول قديم معروف، أما موسى بكيف فقد نفى ضرر الكفر أيضاً؛ بحيث إنه جعله مؤقتاً يزول أثره بعد مدة من العذاب وذلك من خلال النظر إلى الأدلة حسب مزاجه وهواه ليصل إلى الفكرة التي تبناها"¹.

تحدث مصطفى صبري عن "السبب الذي دفع القائلين بانتهاء عذاب الكفار وهو أن عقولهم لم تتحمل تصور عذاب أبدي بلا نهاية، ولذلك قالوا بوجوب فناء النار على الله تعالى، في حين أن المتكلمين من علماء الإسلام قالوا أن العفو عن الكافر ممكن عقلاً، إلا أنه هناك فرق بين الإمكان والتحقق في الخارج، فالإمكان العقلي للعفو عن الكافر لا يلزم حدوثة عقلاً، وإنما البيان الإلهي هو ما يخصص الممكن العقلي في الوقوع، وبالتالي فإن موسى عندما وصف المتكلمين القائلين ببقاء النار بأنهم قد قيدوا رحمة الله تعالى؛ إنما قيد قدرة الباري عز وجل بقوله وجوب انتهاء العذاب عقلاً، ثم قال: نعم نحن أيضاً مع أننا نقول ببقاء العذاب الأليم وأن ذلك ليس مستحيلاً على الله تعالى، لا يسع عقلنا القاصر استيعاب تحمل هذا العذاب، ولكن ما العمل؟ ما البيد حيلة. إن أحكم الحاكمين ومالك يوم الدين قد أخبرنا بذلك، وما علينا إلا الإيمان شئنا أم أبينا، إذ كيف لنا بعد ورود كل تلك الآيات الصريحة التي تخبر بخلود الكافرين في النار أن نقول: لا، لا، إن هذا مستحيل على الله تعالى، وإن الله تعالى سوف يُخلف وعيده فذلك فضل وكرم.. إننا لا نجراً على قول ذلك."².

"وكذلك فإن الاستدلال على فناء النار بأنها إن فئت فلا يطلق على الكفار بأنهم قد خرجوا استدلال فاسد؛ لأن القول ببقاء جهنم في المصطلح العلمي نسبة إلى الحال والمحل، فيلزم منه بقاء كلا الطرفين؛ إذ كيف للكفار أن يخلدوا في جهنم دون كونها خالدة، فالنار خالدة، والكفار خالدون ولا حاجة لذكر ذلك على سبيل التفصيل."³.

إن الأشخاص الذين ذُكروا سابقاً ليسوا الوحيدين الذين كتبوا في هذه المسألة، إلا أن

¹ ينظر: القيمة العلمية للمجتهدين الجدد في الإسلام، مصطفى صبري، ص 37.

² ينظر: القيمة العلمية للمجتهدين الجدد في الإسلام، مصطفى صبري، ص 41-42.

³ ينظر: القيمة العلمية للمجتهدين الجدد في الإسلام، مصطفى صبري، ص 149.

كل واحد منهم يختلف بطريقة الكتابة والتاريخ الزمني؛ فأبو عمرو الداني يعتبر من علماء القرن الخامس الهجري متخصصاً في علوم القرآن وتفسيره، وإليه يعود الفضل في علم القراءات من المتقدمين إلى جانب أنه كان عالماً بالحديث وطرقه وأسانيده، فذكره لهذه المسألة يدعو للاهتمام حيث أنها لو كانت مسألة خلاف منذ عصر الصحابة لكان الأولى بذكرها هو أبو عمرو الداني في كتاب مثل كتابه الذي سماه ب(الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات)، وذكر مصنف (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) للسبكي المعاصر لابن تيمية يُثبت نسبة مصنف (الرد على من قال بفناء الجنة والنار) لابن تيمية، وكذلك تأليف الصنعاني المسمى ب(رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار)، كما أن منهجية السبكي والصنعاني كانت مختلفة عن منهجية مصطفى صبري؛ بحيث إن السبكي والصنعاني اعتمدا اعتماداً كلياً على الاستدلال النقلي في هذه المسألة ففصلا الحديث عن الآيات الواردة في حق الكفار وتفسيرها، والأحاديث والآثار وأسانيدها وصحتها وكيفية الأخذ بها، وتحديثاً أيضاً عن الإجماع الوارد في هذه المسألة، بينما ناقش مصطفى صبري المسألة بطريقة مختلفة حيث بيّن لوازم هذا القول ودواعيه، وبيّن معنى الحكمة والمشئة الإلهية وأنها لا تستلزم ما زُعم سابقاً فناء النار بما يوافق نظرتنا البشرية، بالإضافة إلى ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

2. الأدلة النقلية التي استدل بها القائلون ببقاء النار مع وجه الدلالة، ومناقشتها

أورد السبكي في كتابه (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) "أربع وثلاثين آية فيها ذكر خلود الكافرين في النار، وما اشتق منه أربع من التأييد، وهناك أيضاً الكثير من الآيات التي بما في معناه"¹، وأورد مصطفى صبري في كتابه (القيمة العلمية للمجتهدين الجدد في الإسلام) "قريباً من ستين آية في ذكر بقاء الكافرين في النار"²، فمن الآيات التي ذكرت:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁴

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161)

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾⁵

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁶

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الطَّغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁷

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾⁸

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾⁹

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

¹ ينظر: الاعتبار ببقاء الجنة والنار، السبكي، ص4.

² ينظر: القيمة العلمية للمجتهدين الجدد في الإسلام، مصطفى صبري، ص186.

³ سورة البقرة: الآية (39).

⁴ سورة البقرة: الآية (81).

⁵ سورة البقرة: الآيتان (161) (162).

⁶ سورة البقرة: الآية (217).

⁷ سورة البقرة: الآية (257).

⁸ سورة آل عمران: الآيتان (88) (89).

⁹ سورة آل عمران: الآية (116).

عَذَابٌ مُّقِيمٌ¹

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾²

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُّوَهَا وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁴

﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾⁵

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾⁶

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾⁷

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾⁸

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾⁹

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّاهُ فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾¹⁰

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾¹¹

﴿أُولَئِكَ مَاوِلُهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجْدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾¹²

﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾¹

¹ سورة التوبة: الآية (68).

² سورة النحل: الآية (29).

³ سورة الأنبياء: الآية (99).

⁴ سورة السجدة: الآية (14).

⁵ سورة الفرقان: الآية (69).

⁶ سورة الأحزاب: الآيتان (64) (65).

⁷ سورة فصلت: الآية (28).

⁸ سورة الزخرف: الآية (75).

⁹ سورة الجن: الآية (23).

¹⁰ سورة البقرة: الآية (167).

¹¹ سورة النساء: الآية (56).

¹² سورة النساء: الآية (121).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾²
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْسِبُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾³
 ﴿يَنبِئُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾⁴

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾⁵
 وقد قال السبكي عن الآيات السابقة:

"وغيرها من الآيات كثير في هذا المعنى جداً، وذلك يمنع من احتمال التأويل ويوجب القطع بذلك، كما أن الآيات الدالة على البعث الجسماني لكثرتها يمنع تأويلها، فتضافر هذه الآيات ونظائرها يفيد القطع بإرادة حقيقتها ومعناها، وأن ذلك ليس مما استعمل فيه الظاهر في غير المراد به"⁶.

وقال الصنعاني عن احتمال عودة المشركين إلى الدنيا وتطهيرهم من الذنوب والخطايا:
 "وأقول: قال الله تعالى مخبراً عن المشركين واعترافهم المذكور: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾⁷، فهذا نص في اعترافهم الاعتراف الحقيقي فإنه لا يطلق تعالى على ما ليس باعتراف أنه اعتراف، ثم قال: ﴿فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾⁸؛ أي بعداً لهم عن الرحمة والإغاثة والغفران، فهذا نص في وجه هذا القول الذي قاله تظنناً، وقال تعالى لما قالوا وهم في دركات النار: ﴿رَبَّنَا

¹ سورة المائدة: الآية (37).

² سورة محمد: الآية (34).

³ سورة العنكبوت: الآية (23).

⁴ سورة يوسف: الآية (87).

⁵ سورة الزمر: الآيتان (71) (71).

⁶ ينظر: الاعتبار ببقاء الجنة والنار، السبكي، ص 6-10.

⁷ سورة الملك: الآيتان (10) (11).

⁸ سورة الملك: الآية (11).

أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَلِمُونَ¹، فاعترفوا بظلمهم وأخبروا عن عزيمتهم أنهم لا يعودون، أي إن عدنا إلى ما كنا فيه من الكفر والتكذيب كما يفيد لفظ العود، ولم يجب عليهم تعالى إلا بقوله: ﴿قَالَ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾²3.

وفي المطالب الآتية ذكر ما ورد من أقوال المفسرين في هذه الآيات.

1.1 الآيات التي فيها ذكر الخلود.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁴، قال البغوي: "﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني جحدوا، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالقرآن، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يوم القيامة، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يخرجون منها ولا يموتون فيها"⁵.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁶، فقد قالت اليهود لن تصيبنا النار إلا قدراً مقدوراً ثم يزول عنا العذاب ويعقبه النعيم، واختلفوا في تقدير هذه المدة، فقال الله عز وجل تكذيباً لهم: قل يا محمد ألتخذتم عند الله عهداً أي موثقاً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة، أم ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم أكذبهم الله تعالى فقال: ﴿بَلَىٰ﴾ وبلى: حرف استدراك، ومعناه نفي الخبر الماضي، وإثبات الخبر المستقبل، ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعني الشرك، ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يعني الشرك يموت عليه، والإحاطة به أن يصر عليها فيموت غير تائب، فبين تعالى أن الخلود في النار والجنة إنما هو بحسب الكفر والإيمان، لا بما قالوه⁷.

"وقال علمائنا في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ

¹ سورة المؤمنون: الآية (107).

² سورة المؤمنون: الآية (108).

³ رفع الأستار، الصنعاني، ص 135.

⁴ سورة البقرة: الآية (39).

⁵ معالم التنزيل، البغوي، ج 1، ص 86.

⁶ سورة البقرة: الآيتان (80-81).

⁷ ينظر: أ. معالم التنزيل، البغوي، ج 1، ص 116-117.

ب. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 2، ص 220.

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ¹: إنما ذكر الله الموافاة شرطاً هاهنا لأنه علّق عليها الخلود في النار جزاءً، فمن وافى على الكفر خلّده الله في النار بهذه الآية².

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الطَّغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ³﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ⁴﴾، وقال: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ⁵﴾؛ أي "ماكثين فيها، ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾؛ أي مقام الذين تكبروا عن الإيمان، وعن عبادة الله تعالى⁶.

وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُّوهُآ وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ (99) هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ⁷﴾ قال ابن مسعود: في هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى عليها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره⁸.

وقال تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ⁹﴾؛ "وفي النسيان قولان: أحدهما: والآخر: أن نسيتم بمعنى تركتم، وكذا: ﴿إِنَّا نَسِينُكُمْ﴾ تركناكم من الخير؛ قاله السدي، وعن مجاهد: أي تركناكم في العذاب. وفي استئناف قوله: ﴿إِنَّا نَسِينُكُمْ﴾، وبناء الفعل على (إن) واسمها تشديد في الانتقام منهم، والمعنى: فذوقوا هذا، أي: ما أنتم فيه من نكس الرؤوس والحزي، والغم بسبب نسيان الله، أو: ذوقوا العذاب

¹ سورة البقرة: الآية (217).

² الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص430.

³ سورة البقرة: الآية (257).

⁴ سورة آل عمران: الآية (116).

⁵ سورة النحل: الآية (29).

⁶ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص317.

⁷ سورة الأنبياء: الآيتان (99) (100).

⁸ ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ج5، ص356.

⁹ سورة السجدة: الآية (14).

المخلد، وهو الدائم الذي لا انقطاع له في جهنم¹.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾²، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ "أي: لأرواحهم، وقيل المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنة؛ لأن الجنة في السماء، ودل على ذلك قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، والجمل لا يلج، فلا يدخلونها البتة، وهذا دليل قطعي لا يجوز العفو عنهم، وعلى هذا أجمع المسلمون الذين لا يجوز عليهم الخطأ أن الله سبحانه وتعالى لا يغفر لهم، ولا لأحد منهم، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكفار، والله أعلم³، وقال الطبري: "ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها، الجنة التي أعدها الله لأولياءه المؤمنين أبداً، كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبداً، وذلك ثقب الإبرة".⁴

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد ذكر في الأعلى تفسير الآيات عن عين المفسرين الذين نقل عنهم أصحاب الفريق الأول، وقد ذكر في سابقاً تفصيل معاني الخلود والأبد في الآيات، على أن دلالة الآيات على بقاء الكفار في النار لم تقتصر على هاتين الكلمتين، وإنما هناك من التعابير ما يدل على الخلود، ويؤيده، ويصب في معناه على ما ذكره المفسرون.

¹ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 17، ص 26.

² سورة الأعراف: الآية (40).

³ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 9، ص 218-219.

⁴ جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 10، ص 187.

1.2 الآيات التي فيها ذكر وصف عذاب الكافرين، واللعن، والطرود.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خُلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾¹؛ "هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله، ثم تلعه الملائكة، ثم يلعه الناس، ﴿خُلِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في اللعنة، وقيل في النار، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا يمهلون، ولا يؤجلون"²، وقال ابن كثير: "أخبر الله تعالى عمن كفر به واستمر به الحال إلى مماته بأنه في اللعنة التابعة لهم إلى يوم القيامة، ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التي ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ فيها، أي: لا ينقص عما هم فيه، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: لا يُغَيَّرُ عنهم ساعة واحدة، ولا يفتر، بل هو متواصل دائم، فنعوذ بالله من ذلك."³، وكذا قوله تعالى: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾⁴.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خُلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾⁵، فقله: ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: طردهم وأبعدهم من رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: نوع آخر من العذاب دائم لا ينفك عنهم"⁶. وقد جعل محمد رشيد رضا اللعن مقيداً على الطرد من الرحمة الخاصة بالمؤمنين، فقال في هذه الآية:

"والمعنى أن نار جهنم فيها من الجزاء ما يكفيهم عقاباً في الآخرة، وقوله: ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ في الدنيا والآخرة مجرماتهم من رحمته الخاصة، التي لا يستحقها إلا المؤمنون الصادقون الذين تذكر صفاتهم في الآيات المقابلة لهذه عقبها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي ثابت لا يتحول عنهم، والظاهر من العطف أنه نوع من العذاب نفسي معنوي غير عذاب جهنم الحسي الخاص بها بنوعيه الظاهر والباطن: الظاهر كالسموم الذي يلفح وجوههم، والحرارة التي تنضج جلودهم..

¹ سورة البقرة: الآيتان (161) (162).

² ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ج 1، ص 176.

³ ينظر: تفسير ابن كثير، ابن كثير، ج 1، ص 473.

⁴ سورة آل عمران: الآيتان (88) (89).

⁵ سورة التوبة: الآية (69).

⁶ فتح القدير، الشوكاني، ص 583.

والباطن المعبر عنه بقوله تعالى في الحطمة ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئَةِ﴾¹، فهذا النوع المقيم إن كان في الدنيا فهو ما يلصق بقلوب المنافقين من خوف الفضيحة، وغير ذلك من تعذيب الضمير والوجدان، ولكل طائفة من الكفار عذاب دنيوي مقيم بحسب حالهم، ولا سيما المعطلين، وقد تقدم ذكر العذاب المقيم بما يدل على أنه في النار.²

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (76) وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾³، أي: "أهل الإجماع الكفرية، لا ينقطع عنهم العذاب أبداً، ولا يخفف عنهم، وقوله: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾، أي: آيسون من النجاة، ونادى المجرمون مالك وهو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ بالموت، توسلوا بمالك إلى الله سبحانه ليسأله لهم أن يقضي عليهم بالموت، ليستريحوا من العذاب، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾، أي: مقيمين في العذاب، قيل سكت عن إجابتهم ثمانين سنة، ثم أجابهم بهذا الجواب، وقيل: سكت عنهم ألف عام، وقيل مائة سنة، وقيل: أربعين سنة"⁴.

وفي هذه الآية ذكر نفي الموت أو انتهاء العذاب وانقضائه كما تبين بالإضافة إلى وصف العذاب بأنه ملازم لهم لا يخفف ولا يفتّر عنهم.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁵ قال ابن عطية: : وهي تُبدل دأباً عافانا الله من عذابه برحمته، وحسن الاتصاف بعد هذه المقدمات بالعزة والإحكام، لأن الله لا يغالبه مغالب إلا غلبه الله، ولا يفعل شيئاً إلا بحكمة وإصابة، لا إله إلا هو تبارك وتعالى"⁶. فقد بيّن المراد من ذكر وصف العزة والإحكام، وأنه ليس كما ذكر سابقاً على وجه التحديد.

¹ سورة الهزلة: الآية (7).

² ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، 1947م-1366هـ، ط2، ج10، ص621-622.

³ سورة الزخرف: الآيات (74-75-76-77).

⁴ ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ص1346.

⁵ سورة النساء: الآية (56).

⁶ المحرر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص69.

وقد قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَحْدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾¹، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخُرجِينَ مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾²، قال ابن عطية: "﴿يُرِيدُونَ﴾ إخبار عن أنهم يتمنون هذا في قلوبهم، وفي غير آية أنهم ينطقون عن هذه الإرادة، وقرأ جمهور الناس ﴿يُخْرِجُوا﴾ بفتح الياء وضم الراء، وقرأ يحيى بن وثاب³، وإبراهيم النخعي⁴ بضم الياء وفتح الراء، وأخبر تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم ليسوا بخارجين من النار بل عذابهم مقيم متأبد"⁵.

"والقراءة التي ذكرت سابقاً شاذة، وموغلة في الشذوذ، فهما ليسا من القراء الذين يُعتمد عليهم في القراءات المتواترة أو الشاذة، ولكن بما أنه ذكرها ابن عطية فيستأنس بها استئناساً، ويعتمد عليها في التفسير، مع ذكر من قرأ بها"⁶، وبالتالي فلا يُسلم الاستدلال الذي أتى به عدنان إبراهيم سابقاً بأن القول بفناء النار لا ينافي هذه الآية، بزعمه أن الله تعالى لم يقل (يُخرجوا) بضم الياء، وبالتالي عندما تفنى النار لا يكون الكفار قد خرجوا منها وإنما أُخرجوا منها وليس في هذا مخالفة لصريح القرآن على حد زعمه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ

¹ سورة النساء: الآية (121)

² سورة المائدة: الآية (37).

³ "يحيى بن وثاب الأسدي الكاهلي مولاهم، الإمام القدوة المقرئ الفقيه، شيخ القراء الأسدي الكوفي، أحد أئمة الأعلام، وتعلم القرآن، وتلا على أصحاب علي وابن مسعود، حتى صار أقرأ أهل زمانه، فقد فاق يحيى نظراءه في القرآن والآثار، وقد حدث عن ابن عباس وابن عمر، وقال أبو عمرو الداني: (أخذ يحيى بن وثاب القراءة عرضاً عن علقمة، ومسروق، والأسود، والشيباني، والسلمي)، وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم: (تعلم يحيى بن وثاب من عبيد آية آية، وكان والله قارئاً)، ومات يحيى بن وثاب سنة ثلاث ومائة". ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج4، ص379-381.

⁴ "إبراهيم النخعي أبو عمران بن يزيد بن قيس، الإمام الحافظ فقيه العراق، وكان بصيراً بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن، قال أحمد بن عبد الله العجلي: (لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد أدرك منهم جماعة، ورأى عائشة)، وكان مفتي أهل الكوفة هو والشيعي في زمانهما، وكان رجلاً صالحاً، فقيهاً، متوقفاً قليل التكلف، ومات وله سبع وخمسون سنة، أو نحوه". ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج4، ص525.

⁵ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص187.

⁶ تلقين شفهي من الشيخ محمد فهد خاروف، الجامع للقراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية، الدرة، الطيبة، 08.02.2022.

هُمْ¹، "يقول تعالى ذكره: إن الذين أنكروا توحيد الله، وصدوا من أراد الإيمان بالله وبرسوله عن ذلك، ففتنوهم عنه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من ذلك، ثم ماتوا وهم على ذلك كم كفرهم، فلن يعفو الله عما صنع من ذلك، ولكنه يعاقبه عليه، ويفضحه به على رؤوس الأشهاد"².

وقد ذكر مصطفى صبري في هذا المقام قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرْدُ بِأَسْئِهِ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾³، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْسِبُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾⁵، ثم قال:

"إن موسى أفندي قد زعم أن رحمة الله واسعة شاملة، وتساءل عن سبب تقييد المتكلمين وعلماء المسلمين رحمة الله تعالى بالمؤمنين فقط، وقال: ألم يسمع موسى أفندي هذه الآيات الصريحة في تخصيص رحمة الله تعالى والتي لا تحتاج إلى كثير من النظر والذكاء..."⁶.

وقال ابن كثير في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْسِبُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁷: "إن الذين جحدوا وكفروا بالمعاد، ﴿أُولَئِكَ يَكْسِبُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي: لا نصيب لهم فيها، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع في الدنيا والآخرة"⁸.

"وفي الآية بيان لما في قوله ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾⁹، وإنما عطف لما فيه من زيادة الإخبار بأنهم لا ينالهم الله برحمة وأنه يصيبهم بعذاب أليم، والكفر بآيات الله: هو كفرهم بالقرآن، والكفر بلقائه: إنكار البعث.

واسم الإشارة يفيد أن ما سيذكره بعده نالهم من أجل ما ذكر قبل اسم الإشارة من أوصاف،

¹ سورة محمد: الآية (34).

² ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج 21، ص 226.

³ سورة الأنعام: الآية (174).

⁴ سورة العنكبوت: الآية (23).

⁵ سورة الإنسان: الآية (31).

⁶ ينظر: القيمة العلمية للمجتهدين الجدد في الإسلام، مصطفى صبري، ص 68.

⁷ سورة العنكبوت: الآية (23).

⁸ تفسير ابن كثير، ابن كثير، ج 6، ص 271.

⁹ سورة العنكبوت: الآية (21).

أي أنهم استحقوا البأس من الرحمة، وإصابتهم العذاب الأليم لأجل كفرهم بالقرآن، وإنكارهم البعث، وأخبر عن يأسهم من رحمة الله بالفعل المضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه، والمعنى: أولئك سيأسون من رحمة الله لا محالة.

والتعبير بالاسم الظاهر في قوله ﴿بِأَيِّتِ اللَّهِ﴾ دون ضمير التكلم للتنويه بشأن الآيات حيث أضيفت إلى الاسم الجليل لما في الاسم الجليل من التذكير بأنه حقيق بأن لا يكفر بآياته، والعدول إلى التكلم في قوله ﴿رَحْمَتِي﴾ التفات عاد به أسلوب الكلام إلى مقتضى الظاهر، وإعادة اسم الإشارة لتأكيد التنبيه على استحقاقهم ذلك.¹

وأما قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾²؛ "يجوز أن تكون الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئة عن جملة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾³؛ إذ يتساءل السامع على أثر مشيئة الله في حال (مَنْ أُنْخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) ومن لم يتخذ إلى ربه سبيلاً، فيجاب بأنه يُدْخِلُ في رحمته من شاء أن يتخذ إليه سبيلاً، وأنه أعد لمن لم يتخذ إليه سبيلاً عذاباً أليماً، وأولئك هم الظالمون.

ويجوز أن تكون الجملة خبر (إن) في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ وتكون جملة ﴿كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ معترضة بين اسم (إن) وخبرها أو حالاً، وهي على التقديرين منبئة بأن إجراء وصفي العليم الحكيم على اسم الجلالة مراد به التنبيه على أن فعله كله من جزاء برحمة أو بعذاب جارٍ على حسب علمه وحكمته⁴.

¹ التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20، ص233-234.

² سورة الإنسان: الآية (31).

³ سورة الإنسان: الآية (30).

⁴ التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج29، ص416.

2. الأدلة العقلية المستندة على الأدلة النقلية في بقاء النار، ومناقشتها

2.1 الثواب والعقاب.

إن الثواب والعقاب فعل من الله تعالى على سبيل الابتداء؛ أي أن علة الثواب والعقاب هي إرادة الله تعالى، "فإن المطيع لا يستحق بطاعته ثواباً، والعاصي لا يستحق بمعصيته عقاباً، إذ قد ثبت أنه لا يجب لأحد على الله تعالى"¹، وبالتالي لا يسلم قياس أعمال الكفار وحياتهم بالعذاب الأخروي.

"إن الثواب من الله تعالى ابتداءً فضل غير مستحق للمؤمن عليه بعمله، بل عمل المؤمن بالطاعة له ابتداءً فضل منه وتوفيق له، وإنه لا يصح أن يستحق أحد على الله تعالى حقاً بعمله ومن قبله بوجه إلا ما أوجب الله تعالى للمؤمنين بفضله ابتداءً، لا لسبب متقدم. وعلى ذلك يجوز أن يتفضل على من لم يعمل ولم يطع، فيبلغ به ثواب المطيع ويزيده أيضاً، وأن يتفضل على أحدهما بأكثر مما يتفضل على غيره.

والعقاب كذلك ابتداءً عدل من الله تعالى لم يوجبه سبب متقدم من كفر ومعصية، بل كان كفر الكافر بخذلانه وحرمانه وإضلاله، وإنه لو عفا عن الكفار جميعاً وأدخلهم الجنة، كان ذلك لائقاً برحمته غير منكر في حكمته، ولكننا إنما قطعنا بعذابهم على طريق التأييد للخبر المجمع على عمومهم، وقطعنا بثواب المؤمنين على التأييد للخبر الذي قارنه الإجماع على تعميم صورته وصيغته، ففضينا به، وحكمنا أن ذلك كائن لهم لا محالة.

بل إنه يجوز في العقل أن يعفو الله تعالى عن واحد، ويعاقب من كل على مثل جرمه، ولا يكون ذلك منه جوراً، بل العفو منه تفضل وتركه ليس بجور، ثم إن وعده ووعيده يتعلقان على عواقب الأحوال، وإن قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾²، معناه: إذا ماتوا عليه. وإن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾³، معناه: إذا مات على الشرك.⁴

¹ شرح المواقف، الجرجاني، ج 8، ص 332.

² أول موضع: سورة المائدة: الآية (9).

³ سورة المائدة: الآية (72).

⁴ ينظر: مقالات أبي الحسن الأشعري، ابن فورك، ص 167.

بيّن أهل السنة "أنّ جنس الثواب والعقاب ليس بواجب على الله تعالى، ولا هو معلول أفعال العباد، بل هو بفضل الله تعالى وإرادته التي لا يقيدتها شيء، فهو الفاعل المختار، والله تعالى أن يزيد في الثواب لمن يشاء، وأنّ قطع المسلمين بأن الكفار في النار إنّما كان لما ورد في ذلك من نصوص شرعية في الكتاب والسنة، وليس لأدلة عقلية توجب ذلك، فمن المهم عندهم جداً أن يحرروا الأصل العظيم الذي يقولون به، وهو أن الله تعالى فاعل مختار"¹.



¹ ينظر: أصحاب النار ومصيرهم، سعيد فودة، ص69.

2.2 العدل والفضل.

"(الثواب فضل) من الله تعالى (وعد به فيفي به من غير وجوب) لأن الخلف في الوعد نقصٌ تعالى الله عنه، وأما عدم الوجوب فلما مر مراراً، (والعقاب عدل) من الله لأن الكل ملكه (فله أن يتصرف فيه) كما يشاء"¹.

والله تعالى هو "العدل العادل ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله، ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله، فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علماً بأفعال الله تعالى من أعلى ملكوت السماوات إلى منتهى الثرى.. حتى إذا لم ير في خلق الرحمن من تفاوت، ثم رجع البصر فما رأى من فطور، ثم رجع البصر مرة أخرى فانقلب البصر إليه خاسئاً وهو حسير، فعده تعالى أنه لم يخلق شيئاً في موضعه إلا لأنه متعين له، فلو فتح الملك خزائنه المشتملة على الأسلحة، والكتب، وصنوف الأموال، ولكن فرق الأموال بين الأغنياء، ووهب الأسلحة إلى أهل العلم، وسلم إليهم القلاع، ووهب الكتب إلى الأجناد وأهل القتال، وسلم إليهم المساجد والمدارس فقد نفع، ولكنه ظلم، وعدل عن العدل، إذ وضع كل شيء في غير موضعه اللائق، ولو آذى المرضى بسقي الأدوية، والحجامة، والفصد، والإجبار على ذلك، وآذى الجنة بالعقوبة قتلاً وضرباً كان عدلاً؛ لأنه وضعها في موضعها"².

وفي شرح العقيدة الطحاوية:

"(وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم للجنة فضلاً منه، ومن يشاء للنار عدلاً منه) وفيه رد لقول المعتزلة القائلين بالوجوب على الله، ودخول النار بعدله، لأنه كلفهم بالإيمان عن اختيار وأخبرهم بالعذاب بترك الإيمان والأوامر، وارتكاب المناهي، ومنّ بالإندار، فقد لا يعذر، فكان التعذيب عدلاً منه وحكمة."³

وقال أبو عمرو الداني في الرسالة الوافية:

"إن الوعد فضل الله عز وجل ونعمته، والوعيد عدله وحقه، وإن الجنة دار المطيعين بلا

¹ ينظر: شرح المواقف، الجرجاني، ج8، ص334.

² ينظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت، د.ط، ص90-91.

³ ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، الغزنوي، ص142-143.

استثناء، وجهنم دار الكافرين، وأرجأ تعالى لمشيئته من المؤمنين العاصين من شاء ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾¹، ولا يُسأل عما فعله. قال الله تعالى فيما وعد به المؤمنين المطيعين: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾²... وقال في العصاة الكافرين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَعْفِرْ لَهُمْ﴾³، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا⁴، ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾⁵، أي: ماكتن فيها أبداً إلى غير نهاية.

فوعده تبارك وتعالى للمؤمنين المطيعين صدق، ووعيده للكافرين المشركين حق، ومن مات من المؤمنين مصراً على ذنب فهو في مشيئته وخياره إن شاء عذبه، وشاء غفر له.⁶

¹ سورة الرعد: الآية (41).

² سورة النساء: الآية (13).

³ سورة النساء: الآية (168).

⁴ سورة الأحزاب: الآيتان (64-65).

⁵ سورة النساء: الآية (14).

⁶ ينظر: الرسالة الوافية، أبو عمرو الداني، ص 187-188.

الفصل الثالث : مفارقات بين مناهج الفريقين في الاستدلال



1. مفارقات في قواعد التفسير

1.1 مراعاة السياق

إن من أهم قواعد التفسير النظر إلى سياق الآية والسورة بأكملها، وهذا مما يساعد على الفهم العميق والدقيق، إلا أنه كان هناك تغاضي عن هذه النقطة خلال طرق الاستدلال السابقة، مثلاً: ممن ورد أنه استدل على عموم الرحمة دون النظر إلى منتهى الآية، وسياقها في تفسير معنى الرحمة، إذ إنه "على متدبر كتاب الله أن يبحث عن ارتباط المعنى المستفاد من جملة قرآنية بما تفرق في القرآن من معانٍ تجتمع معه في موضوع واحد، وبمعاني الآية التي هي منها، والسورة التي هي فيها، فمثل الجمل القرآنية وما تحمل من معانٍ ودلالات كممثل حبات نفيسة الجواهر، نُظمت في عقد متكامل تمثله السورة القرآنية، أو نُضدت في قطعة نادرة مصوغة أبدع صياغة من قطع الحلي، مع التناسق التام والبديع، ويُلاحظ أن حبات العقد أو جواهر قطعة الحلي ليس من الضروري أن تكون كلها من صنف واحد كاللؤلؤ مثلاً، إلا أن الناظم أو المنضد لها قد جعل لها منطلقاً واحداً أو مركزاً ترجع إليه"¹، وبالتالي فإن سياق كثير من الآيات يدل على بقاء النار وأهلها، و"إن زعم القائلون بفناء النار وجود ثلاث آيات يوجد فيها شبهة دليل على الفناء، ومقابلتها ثلاث آيات ذكر فيها خلودهم فيها، فذلك لا يُسلم، فكما أن بعض العلماء أنكروا على القائلين بفناء الجنة"² لقوله تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾³، فقد ورد في السورة التي تليها قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾⁴، أفلا تقابل هذه الآية تلك؟.

إذ إنه "يأتيه من الأشياء المعذبة من كل مكان من حوله في جهنم، ما يكفي كل واحد منها لأن يميت، لولا أن الحياة الأخرى لا موت فيها، فقد ذبح الموت على أول الصراط، فما هو بميت، ولكنه يُعذب عذاباً يكفي للإماتة لو كان نظام الموت ما زال سارياً، ميتاتٍ بعدد

¹ ينظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق،

1400هـ-1980م، ط1، ص10-11.

² ينظر: الاعتبار ببقاء الجنة والنار، السبكي، ص10.

³ سورة الرعد: الآية (35).

⁴ سورة إبراهيم: الآية (17).

المعذبات التي تصل إليه"¹، "وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وجهان: الأول: أن المراد من العذاب الغليظ كونه دائماً غير منقطع، والثاني: أنه في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله"²، وقد قال تعالى فيما يليها: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاةُ الْبَعِيدُ﴾³؛ قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع عذابهم في الآية المتقدمة بين في هذه الآية أن أعمالهم بأسرها تصوير ضائعة باطلة لا ينتفعون بشيء منها، وعند هذا يظهر كمال خسارتهم لأنهم لا يجدون في القيامة إلا العقاب الشديد، وكل ما عملوه في الدنيا وجدوه ضائعاً باطلاً، وذلك هو الخسران الشديد"، ثم قال في سياق الآيات: "قوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء منتفع به لا في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك لأنه ضاع بالكلية وفسد، واعلم أنه تعالى لما تم هذا المثل قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾⁴ فوجه النظم أنه تعالى لما بين أن أعمالهم تصوير باطلة ضائعة، بين أن ذلك البطلان والإحباط إنما جاء بسبب صدر منهم، وهو كفرهم بالله، وإعراضهم عن العبودية فإن الله تعالى لا يبطل أعمال المخلصين ابتداءً، وكيف يليق بحكمته أن يفعل ذلك، وأنه تعالى ما خلق كل هذا العالم إلا لداعية الحكمة والصواب"⁵، فالآيات تجيب على من يسأل فيقول: ما مصير الكافرين الذين عملوا الخير، وكانوا رحماء أكثر من بعض المسلمين؟، والآيات كذلك تقيم قول من قال: أن الله تعالى يُتبع بالرحمة فكل من كان رحيماً فهو مؤمن.

إن الآيات السابقة بسياقها وتتاليها، كافية في بيان حال الكفار ومصيرهم وسبب عذابهم وحقيقته وانقطاع الشك بأن يُحتم العذاب بموت، أو انقضاء.

وأما تقييد الخلود بالتأييد، "فلا علاقة بين ذكر الأبد وتخصيصه بأهل الجنة أو النار؛ وإنما هو السياق وما يتطلبه من إيجاز أو تفصيل، فالخط واضح في التعبير القرآني في ذكر (أبدًا) أو

¹ معارج التفكير ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، 1427هـ-2006م، ط1، ج14، ص45.

² مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج10، ج19، ص86.

³ سورة إبراهيم: الآية (18).

⁴ سورة إبراهيم: الآية (19).

⁵ ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، مج10، ج19، ص87.

عدم ذكرها، إذا كان الكلام فيه تبسط وتفصيل في وصف أحد الفريقين يذكر (أبداً)، وإذا كان فيه إيجاز سواء كان في الجزاء أو في الوصف لا يذكر (أبداً)، هذه مسألة، والمسألة الأخرى تتعلق إذا كان التهديد بالعذاب أو الوعد بالجنة بالغ كبير سواء هذا أو هذا يذكر (أبداً)، وإلا فلا يذكرها، مثال قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنُهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾¹، وقال في آية أخرى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾²؛ فعندما أوجز في ذكر الآية السابقة قال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، وعندما فصل في الجزاء وفي الوصف قال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، وهناك مثال آخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ ثُقُفَتِ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾³؛ فقد ذكر (أبداً) والكلام هنا متصل، وقد فصل في العذاب، بينما قال تعالى في حق أهل الجنة بإيجاز: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁴، فلم يذكر (أبداً)، وفي سورة البينة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾⁵، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾⁶، فقد فصل في جزاء أهل الجنة، وأوجز في جزاء أهل النار فلم يذكر (أبداً)، وهذا خط واضح في التعبير.⁷

¹ سورة التوبة: الآية (68).

² سورة التوبة: الآيات ما بين (20-22).

³ سورة الأحزاب: الآيات ما بين (64-66).

⁴ سورة الأحزاب: الآية (71).

⁵ سورة البينة: الآية (6).

⁶ سورة البينة: الآيتان (7-8).

⁷ ينظر: لمسات، بيانية، فاضل، السامرائي، لقاء، على، اليوتيوب،

1.2 مراعاة المعنى اللغوي للكلمات القرآنية، وتعدد دلالاتها.

إن السياق يفيد أيضاً في تعيين الدلالة المقصودة من الكلمات القرآنية إذا تعددت، "فإذا تردد النص القرآني بين دالتين أو أكثر، كدلالة أصلية لغوية، ودلالة عرفية شائعة في العرف العام، أو دلالة عرفية شائعة في الاستعمالات القرآنية، وبيانات الرسول ﷺ، أو دلالة هي من قبيل التوسع في المفهوم، كالانتقال من الحسيات إلى المعنويات أو المجردات، ومن المعاني الحادثة إلى المعاني الأزلية، أو دلالة مجازية مما استعمله العرب، فالدلالة التي ينبغي المصير إليها واعتمادها في فهم معنى النص هي التي تطابق الواقع، أو تؤيدها البراهين العقلية، أو التي لا إشكال فيها فلا تحتاج إلى تأويل بخلاف غيرها، أو التي تنسجم مع سوابق النص ولواحقه، أو التي تتفق مع المفاهيم القرآنية، والأصول الإسلامية الثابتة بيقين.

أما إذا تكافأت الدلالات فالدلالة الأصلية اللغوية هي المرجحة، وتبقى الدلالات الأخرى احتمالات مرجوحة، حتى يأتي من الأدلة ما يرفع قيمتها إلى التساوي، أو الرجحان، أو الاعتماد بصفة جازمة، وعند الحاجة إلى إخراج اللفظ عن أصل دلالاته فيصير إلى أقرب المعاني اللصيقة بالمعنى الأصلي، وإذا أمكن أن يكون هذا المعنى مما عمت به الدلالة حتى غدا حقيقة في العرف فهو الأولى والأحق بالفهم.¹

ففي قوله تعالى: ﴿لَبِثَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾²، ذهب بعضهم إلى أن فيه دلالة على استثناء الخلود، وتحديد مدة عذاب الكفار؛ إلا أن "(أحقاب): جمع (حُقْب) و(حُقْب)، ويطلقان في اللغة على المدة الطويلة الزمن، أي مقيمين في جهنم أزماناً طويلة لا نهاية لها، إذا كانوا كافرين مجرمين، وقد دل هذا على الخلود في جهنم للكافرين نصوص قرآنية كثيرة، فُتحمل الأحقاب هنا على أحقاب متتابعة لا نهاية لها بالنسبة إلى الكافرين.³، وخاصة بعد ورود آثار في دلالتها على الخلود كما سلف، وورودها بدون تقييد، وورودها نكرةً، فقد تعاضد في هذه الآية المعنى اللغوي، والسياق، والآثار السمعية، والأصول الثابتة بيقين، ففي لسان العرب: "قال الفراء في

¹ ينظر: قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص 122-123.

² سورة النبأ: الآية (23).

³ ينظر: معارج التفكير ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة، ج 15، ص 23-24.

قوله تعالى ﴿لَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾¹: الحُقْب ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، اليوم منها ألف سنة من عدد الدنيا، قال: وليس هذا مما يدل على غاية، كما يظن بعض الناس، وإنما يدل على الغاية والتوقيت خمسة أحقاب أو عشرة، والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقاباً، كلما مضى حقب تبعه حقب آخر. وقيل: الحُقْب الدهر، والأحقاب الدهور..²

ثم إن "على" دارس أي نص قرآني أن يكون على علم كاف بقواعد اللغة العربية نحوها وصرفها، لأن فهم معاني النصوص لا يتم على وجه صحيح دون العلم الكافي بهذه القواعد، فبين معنى النص وقواعد اللغة العربية نحوها وصرفها ارتباط يمثل ركناً أساسياً من بناء الكلام العربي³، وبالتالي فلا استدلال السابق بأن كلمة (أبد) تجمع ب(آباد)، وأنه بناء على هذا الجمع فإن هذه الكلمة قد تدل على المدة الطويلة المتناهية، وسبق لذلك غريب الأقوال، والمشهور في اللغة كما تبين أنه لا يصح و أن الأبد لا يُجمع.

¹ سورة النبأ: الآية (23).

² ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج1، ص888.

³ ينظر: قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص151.

2. مفارقات في مناهج التفسير

2.1 كيفية الجمع بين النصوص والآثار في المناهج السابقة.

"على المتدبر لكلام الله تعالى أن يبحث ويتتبع النصوص ويستقرئها على مقدار استطاعته، وينظر إلى كل دليل على سبيل الأفراد في الوقت الذي ينظر إليه في مجموعة كاملة من الأدلة، ويجمع بين النصوص القرآنية التي قد يبدو فيها التعارض، كالنصوص المشتملة على عمومات مع نصوص أخرى تُعارضها في عمومها.

ومن الجمع بين النصوص حل التعارض تخصيص العموم تخصيصاً يتفق مع المفاهيم الإسلامية بوجه عام، ولا يلغي أصل دلالة العموم على الكثرة.

وإذا ورد نصان أحدهما خاص والآخر عام حول موضوع واحد، فإن اتفقا في الحكم فلا إشكال، وإن اختلفا فالخاص في مورده أقوى دلالة من دلالة العام، وعليه فالنص إذا كان واضح الدلالة محدد الدائرة التي يتحدث عنها، وتعارض مع دلالة النص العام كان النص العام مخصصاً وغير متناول للدائرة التي تحدث عنها النص الخاص.

ثم ينظر بعد ذلك: هل الباقي من العام مراد كله، أو له أيضاً ما يخصه، وفي كل الأحوال لا بد أن يبقى من العام ما يصح معه إسناد الحكم الذي اشتمل عليه"¹.

ومن خلال دراسة مناهج الاستدلال السابقة يظهر جلياً تفاوت القائلين بفناء النار في عدم تحديد المحكم في القرآن الكريم والمتشابه منه، وتفاوتهم كذلك في تحديد إطلاق الكلمات على حقيقتها أو على المجاز، فمنهم من خرج بنظرية عذوبة العقاب في حق الكافرين يوم القيامة؛ على أن كلمة "(عَذَاب)" في اللغة أصلها (عَذَبَ) أي: منع، و عَذَبَ الرجل: لم يأكل من شدة العطش، ومنه (العَذَاب): النكال والعقوبة، أما كلمة (عُذُوبَة) فمن (العَذَب) و(عَذَبَ) الماء يُعَذَّبُ عُذُوبَةً، فهو عَذْبٌ طَيِّبٌ، يقال: ماء عَذْبَةٌ، وماء عِذابٌ على الجمع"²، فلا يُسَلَّم المعنى الذي ذهبوا إليه لغةً، ولا يُسَلَّم استدلالاً إلا على وجه الإشارة والرموز عند من يعتمدونها، أما بالنظر إلى الآيات الواردة في حق الكفار وعذابهم بإفرادها أو تعاضدها، وبالنظر

¹ ينظر: قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمن حسن حبنكة، ص 50-51.

² ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج 3، ص 2543.

إلى الكلمات الأخرى الواردة فيها من العقاب، والإهانة، والألم، وغيرها من المفردات والتراكيب، ينتفي احتمال استساغة الكافرين للعذاب ذلك إن كان وارداً.

ومنهم من اقتصر نظره على آية الاستثناء -التي قال في حقها جُلّ المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وكما ورد عن الصحابة عليهم السلام والتابعين أنه تعالى أعلم بثنياءه- فوضعها نُصب الأعين، واستهل الاستدلال بنفي ورود آيات قرآنية تدل على بقاء النار ودوامها، فقال بفنائها؛ وهو بذلك في نظره لا يخالف كتاباً ولا سنةً ولا إجماعاً، إلا أنه لم يُقدّم خلال نظريته تلك حلاً لإشكالية وجود أشخاصٍ معذبين عذاباً أبدياً بلا مكان، فذهب إلى أن النار تفنى لعدم وجود آيات قرآنية تدل على بقائها، إلا أنه سكت عن مصاديق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تعد بعذاب أبدي للكفار، وتنفي عنهم الموت أو الخلاص، وترك الباب مفتوحاً لمن بعده في ذلك.

سرعان ما انتشر القول بفناء النار بعد ذلك على أنه مشهور عن الصحابة عليهم السلام وعن التابعين، وترك باب الاجتهاد في مسألة مصير الكافرين يوم القيامة مفتوحاً، فمنهم من قدّم حلاً فلسفياً، وقال بشمول رحمة الله تعالى للكافرين يوم القيامة؛ فقرأ بداية الآيات القرآنية التي تتحدث عن الرحمة ولم يُكملها، ويبدو أنه لم يمر على آيات طرد الكافرين من رحمة الله، فقال بفناء النار، وطمأن الكافرين بأن مصيرهم وإن طال عذابهم إلى جنات النعيم، فقدّم بذلك منهجاً جديداً للدعوة إلى الإسلام، بل إنه قدّم نظرةً جديدةً عن الإسلام، إذ إنه لم يعد هناك ضرورة للنظر والإيمان بالاعتقاد بوجود الله تعالى ووحدانيته، يكفي إحساس المرء بالرحمة، ثم بعد ذلك ترتفع مرتبته وتعلو درجته عند الله تعالى بقدر كونه رحيماً في هذه الحياة، وهذا كله بناء على ما ورد من آثار عن الصحابة عليهم السلام والتابعين.

وهناك من عجز عن تقديم حلول فلسفية، إلا أنه استخدم العقل في تحديد حكمة الله تعالى من تعذيب الكافرين، وقال بفناء النار وأهلها بحسب ما تقتضيه الحكمة الربانية بعد مدة من الزمن، فبعد أن طهرت نفوسهم بالعذاب لم يعد هناك داع للعذاب. أما أول من تحدث في هذه المسألة فلم ينظر إلى النصوص القرآنية، وإنما استدل على فناء النار بمجرد ما توصل إليه نظره من بطلان التسلسل في الآتي كما هو باطل في الماضي، وترك تفسير النصوص القرآنية لمن قد يقتنع بجزء من نظريته في المستقبل.

وأما القائلون ببقاء النار على اختلاف بعضهم في منهجية التفكير، قد اتفقوا في كيفية الاستدلال على بقاء النار، وكانت الآيات عندهم واضحة الدلالة، تنصُّ نصّاً على خلود الكافرين في النار أبداً، والآثار الواردة عن بعض الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لا تخرج عن كونها مفسرةً لمنهج أهل السنة والجماعة في أن مصير العصاة من المسلمين لا يعلمه إلا الله إما أن يعفو عنهم أو يعذبهم، فليس لأحد أن يُنزل أحداً جنةً ولا ناراً، وهم على ذلك لا يخلدون في النار، ثم إنه لا يخفى أن النار درجات، وأن العذاب أنواع، فلكل دركة أهلها، ولكل عذاب قدره الذي قدره الله، والله أعلم بثنياه، وذلك لا يعارض كون الكافرين خالدين في النار أبداً كما نصت على ذلك الآيات.



2.2 كيفية الجمع بين أسماء الله تعالى وصفاته في المناهج السابقة.

قد ذُكر من الوجوه الشرعية للاستدلال على فناء النار أن الجنة من مقتضى رحمته تعالى، والنار من عذابه، فالنعيم من موجب أسمائه التي هي من لوازم ذاته فيجب دوامه بدوام معاني أسمائه وصفاته، والعذاب من مخلوقاته، والمخلوق قد يكون له انتهاء، لا سيما مخلوق خُلِق لحكمة تتعلق بغيره.

إلا أنهم لم يذكروا أن من أسمائه تعالى أيضاً أنه (شديد العقاب، والجبار، والقهار، والمذل، والمنتقم) فبالتالي يجب دوامه بدوام ذاته، وأسمائه أيضاً.

ثم إن كانت هذه الأسماء والصفات تقتضي دوام ما يقتضيه من الأفعال فيلزم قدم العالم، وإن كانت لا تقتضي فلا يلزم دوام الجنة، فأحد الأمرين لازم لكلامهم، ولا يخفى ما في الأمرين من أشكال¹.

"إن صفات ذاته تعالى هي التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، وهي الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضى، وهما الإرادة على ما وصفناه، وهي الرحمة، والسخط، والولاية، والعداوة، والحب، والإيثار، والمشية، وإدراكه تعالى لكل جنس يدركه الخلق من الطعم، والروائح، والحرارة، والبرودة، وغير ذلك من المدركات.

وصفات فعله هي الخلق، والرزق، والعدل، والإحسان، والتفضل، والإنعام، والثواب، والعقاب، والحشر، والنشر، وكل صفة كان موجوداً قبل فعله لها، غير أن وصفه لنفسه بجميع ذلك قديم؛ لأنه كلامه الذي هو قوله، وهو تعالى لم يزل متكلماً بكلام غير محدث ولا مخلوق"².

فقد تبين أنه ليس هناك علاقة إلزام بالوجود بين الاسم ومصادقه، فالله تعالى رازق أزلاً، وخالق أزلاً..، إذ إنه لم يزل تعالى موصوفاً بأسمائه قبل وجود الخلق، وعند وجودهم، وبعد فنائهم، وتلك الصفات على تفاصيلها ليست سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بمتعلق خاص، فالتخليق على سبيل المثال هو تعلق القدرة بإيجاد المخلوق، والترزيق تعلق القدرة بإيصال

¹ ينظر: الاعتبار ببقاء الجنة والنار، ص 19.

² ينظر: تمهيد الأوائل، أبو بكر الباقلاني، ص 298-299.

الرزق¹.

فالله تعالى هو "الأول والآخر: واعلم أن الأول يكون أولاً بالإضافة إلى شيء، والآخر يكون آخراً بالإضافة إلى شيء.

وهما متناقضان؛ فلا يتصور أن يكون الشيء الواحد، من وجه واحد، بالإضافة إلى شيء واحد أولاً وآخرًا جميعاً، بل إذا نظرت إلى ترتيب الوجود، ولاحظت سلسلة الموجودات المرتبة، فالله تعالى بالإضافة إليها أول؛ إذ الموجودات كلها استفادت الوجود منه، وأما هو فموجود بذاته، وما استفاد الوجود من غيره.

ومهما نظرت إلى ترتيب السلوك، ولاحظت مراتب منازل السائرين إليه، فهو آخر ما يرقى إليه درجات العارفين، وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة إلى معرفته، والمنزل الأقصى هو معرفة الله تعالى، فهو آخرُّ بالإضافة إلى السلوك، أولُّ بالإضافة إلى الوجود، فمنه المبدأ أولاً، وإليه المرجع والمصير آخرًا.

وكما أن من أسمائه تعالى الرحيم فمن أسمائه أيضاً المنتقم: وهو الذي يقصم ظهور العتاة، وينكّل بالجنة، ويشدد العقاب على الطغاة، وذلك بعد الإعذار والإنذار، وبعد التمكن والإمهال، وهو أشد للانتقام من المعاملة بالعقوبة؛ فإنه إذا عوجل بالعقوبة لم يعن في المعصية، فلم يستوجب غاية النكال في العقوبة².

ثم "إن الثواب، والعقاب، والإنعام، والجزاء أفعالٌ لله تعالى، والله تعالى يفعل ما هو مقتضى حكمته الباهرة من الإعطاء لمن يشاء، والمنع لمن يشاء، دون إيجابٍ يسلب الاختيار والمشئنة، فله تعالى كمال الصفات التي دلت عليها أسمائه الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، ويسمى معظمها صفات أيضاً من: الكريم، والجواد، وشديد العقاب... واقتضت هذه الصفات

¹ ينظر: أ. فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهره التوحيد، إبراهيم بن مُحمَّد الباجوري، وجوهرة التوحيد لإبراهيم بن إبراهيم بن حسن الملقب ببرهان الدين اللقاني، تحقيق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، دار الدقاق، دمشق، 1437هـ-2016م، ط2، ص248-249.

ب. المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة، كمال الدين مُحمَّد بن مُحمَّد الشافعي المعروف بابن أبي شريف المقدسي، والمسامرة لكمال الدين مُحمَّد بن همام الدين المعروف بابن الهمام، تحقيق: كمال الدين قاري وعز الدين معميش، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ-2004م، ط1، ص104.

² ينظر: المقصد الأسنى، الغزالي، ص121، ص124.

الكرامة متعلقات فانقسم الخلق إلى شقي بعدله تعالى، وسعيد بفضله تعالى كما قال: ﴿فَرِيقٌ فِي
الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾¹، مع أن الكرم والفضل تعلق بالكل؛ والبر، والفاجر، والمؤمن،
والكافر، فإن الكافر منعم عليه في الدنيا بما أعطاه من قوى ظاهرة وباطنة وأمور يلتذ بها².
"فلا تشكَّن في أن الله تعالى أرحم الراحمين، وأن رحمته سبقت غضبه، ولا تسترب في أن
مريد الشر للشر لا للخير مستحق لاسم الرحمة، فليس كل محال، وممكن مما يدرك إمكانه،
واستحالاته بالبديهة، ولا بالنظر القريب" ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾³⁴.

¹ سورة الشورى: الآية (7).

² ينظر: المسامرة شرح المسامرة، أبو شريف المقدسي، ص 148-149.

³ سورة هود: الآية (123).

⁴ ينظر: المقصد الأسنى، الغزالي، ص 63.

الخاتمة

إن مسألة بقاء النار من أصول الدين، ولا يخفى عظمها خاصة عند من يؤمن بالله، ورسوله، فمجرد تحيّل هول العذاب يكبس على أنفاس الرجل الجُلْد حتى يكاد أن يغشى عليه، وتقشعر له جلود الذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه، وغضبه، وشر عذابه، كما قال الله تعالى في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾¹، فعظم هذه المسألة وهولها قد دفع بعض العلماء إلى التفكير فيها بحيثيات مختلفة، وهذا ما كان مقصوداً من البحث؛ دراسة الحيثيات، والمنهجيات بغض النظر عن شخصيتها، ولما كانت هذه المسألة من المسائل الغيبية التي يؤمن بها المسلمون بناء على ما ورد من نصوص نقلية قطعية، كان البحث متعلقاً بالاستدلال النقلي دون التطرق إلى الأدلة والإشكالات العقلية المتعلقة بهذه المسألة، فكان النظر في هذا البحث مركّزاً على الحيثية التي اعتمد عليها المتحدثون في هذه المسألة، دون التطرق إلى أفرادهم، أو الحكم عليهم، فقد اختلف بعض الكتاب في نسبة هذه الأقوال إلى قائلها بدافع البحث عن الحقيقة تارة، والدرء عن أصحابها تارة أخرى، ولم يتم التطرق إلى مناقشة هذه الآراء لأنه ليس من موضوع البحث شخصية الآراء، وإنما مناقشة مناهجها بغض النظر عن قائلها، فمن أراد البحث عن علة قول ما في منهجية أحدهم، فعليه استقصاء ترجمته، وعصره الذي عاش فيه، وفكره، ومؤلفاته، وطلابه، والحاملين لواء القول عنه.

1. النتائج:

- وببيان ذلك يمكن بدايةً تقسيم الحيثيات التي تحدث بها القائلون بفناء النار إلى ثلاث:
1. قسمٌ قال بفناء النار لسبب عقلي: وهو بطلان التسلسل في المستقبل بناءً على بطلانه في الماضي، فنفوا بذلك بقاء الجنة والنار لتساويهما في العلة العقلية، إلا أن النظر في هذا القول كان مقتصرًا على ما أولوه من آيات قرآنية بناءً على مُرتكز هذا البحث.
 2. والقسم الآخر لم يقل بفناء النار، إلا أنه كان تحت هذا الباب؛ لأنه قال بتحوّل حقيقة النار الأبدية بعد مدة من الزمن تتناسب مع أعمال الكافرين، فإذا انقضت هذه المدة

¹ سورة الزمر: الآية (23).

تحوّل العذاب إلى عذوبة، ونعيم، وذلك بناء على أن الإنسان ليس إلا صورة قد تجلت عن الحق، فيخمد الإحساس بعد مدة من الزمن، وتصفو الروح، وتصير النار صورة للدار التي يسكنها الكافرون.

ولا يخفى ما في هذا الاستدلال من نظرة فلسفية تتعلق بالوجود وحقيقته، إلا أنه في هذا البحث قد تم التطرق إلى الآيات التي استدلت بها أصحاب هذا القول على تبدل العذاب، ومناقشة دعواهم نفي ملازمة الألم، والعذاب لأصحاب النار، وأن جنهم دار سكنى لا أكثر؛ فلا يستلزم من بقاء النار بقاء عذابها، بل إنها قد تتحول بعد مدة من الزمن إلى صورة لا أكثر.

3. والقسم الثالث قد ظهر في القرن السادس للهجرة، وهو يزعم فناء النار بناء على ما ورد من آثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، إلا أن هذا القول المشهور عنهم وعن السلف لم يظهر، ولم ينتشر إلا عن طريقه.

فقد قالوا بفناء النار بناء على ما فهموه من بعض الآثار، وزعموا أنه ليس في ذلك مخالفة لصريح القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾¹، فأخذوا بعين الاعتبار قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾، وغاب عن نظرهم أنه تعالى خصّ خلودهم بقوله قبل ذلك: ﴿هُمْ فِيهَا﴾، فيلزم من خلودهم فيها بقاءها، وفي الوقت الذي توقف فيه الصحابة رضي الله عنهم عن الحديث عن مراد الله تعالى من قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾²، اتضح لهم أنه تعالى قد شاء فناء النار بعد مدة من العذاب تطهر بها نفوس الكافرين من السوء، وتعود إلى الفطرة، ولكنهم لم يحددوا مصير تلك النفوس بعد فناء النار، إنما اقتصروا فقط على التشكيك في إجماع المسلمين على هذه المسألة، ونسبة القول بفناء النار للصحابة رضي الله عنهم، وزعموا منفاة العذاب الأبدي للرحمة الربانية.

استند بعد ذلك من قال بفناء النار على أدلة من سبقهم أو بعضها، إلا أنهم لم يخرجوا عنها ولم يستجدوا فيها سوى حديثهم عن مصير الكافرين بعد فناء النار، إذ إنه ترك مسكوتاً عنه فيما سبق، فمنهم من قال بفناء النار ودخول أصحاب النار الجنة

¹ سورة البقرة: الآية (257).

² سورة هود: الآية (107).

برحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، ومنهم من قال بفناء النار وفناء أصحابها معها، ومنهم من جعل مسألة بقاء النار من المسائل التي كَفَرَ بسببها كثير من الناس، ومارقوا عن دينهم، إذ لا يستوي في عقولهم كون جزاء الكفار أدياً في حين أن حياتهم كانت محدودة قصيرة، وبسبب انصدامهم بهذه المسألة قرروا أن يكونوا من هؤلاء الكفار بدل أن يستدعيهم خوفهم إلى التمسك بالدين من باب أولى. ولأجل ذلك قال بقول من سبقه، وأكمل الاجتهاد في هذا الباب فوصل به المطاف إلى القول بأن الرحمة هي أساس الإيمان فكم من ملحد بالله رحيم بالخلق قد يكون بمعنى أو بأخر مؤمناً أكثر من كثير من المؤمنين الذين يتعاملون بالسلاح الذي يخالف مفهوم الرحمة -عنده-، ومن الجدير بالذكر أن هذه الفلسفة العميقة مبنية على ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين -على حد زعمه-.

أما الحديث عن الفريق القائل ببقاء النار فقد كان مركزاً على الخطوط العريضة لهذه المسألة، وهي أنها مسألة ثابتة بإجماع المسلمين المذكور في كتب المتقدمين والمتأخرين، والمعتمد على نصوص الآيات القرآنية الكريمة، والمؤيد بالسنة النبوية الشريفة، وإن الفرق بأغلبها على اختلافها في مناهجها لم تختلف في هذه المسألة، ولا في الاستدلال عليها إلا أن المعتزلة أوجبوها على الله تعالى، وكان هناك طريقة لبعض الشيعة في الاستدلال حاولوا فيها تبرير أبدية عذاب الكافرين مقابل أعمالهم المحدودة، إلا أنهم لم يسلموا في هذه الطريقة من بعض الإشكالات.

تمَّ بعد ذلك ذكر بعض المؤلفين في هذه المسألة الذين اختلف سبب كتابتهم في هذا الموضوع، إلا أنهم أقروا مسألة بقاء النار بناءً على الأصل عينه الذي تعود إليه؛ ألا وهو أن الله فاعل مختار، يثيب من يشاء كيف يشاء، ويعاقب من يشاء بالقدر الذي يشاء، وما على المؤمن إلى أن يسلم للآيات القرآنية التي نزلت لتنذر الكافرين، وتحذره من عذاب أليم مثالي، وما القائلون ببقاء النار بمستهينين بهذا الأمر، ولا هم بالقاسية قلوبهم، إلا أنهم على قدر إيمانهم بتحقيق هذا العذاب كانوا مدافعين عن هذا القول لأن الإيمان لا يكون بما توجب العقول إنما يكون بما توجبه الآيات، ولعل مؤلفاتهم ودفاعهم يكون رادعاً للظالمين عن الظلم إذ خافوا من الظلمات، وداعياً للمؤمنين

المشفقين إلى الإنذار بالآيات.

2. المقترحات:

إن هذا الدراسة كانت مقتصرة على مناهج الاستدلال النقلي دون العقلي، وذلك ليس لعدم الإقلال من أهمية النوع الآخر إنما لقصور في الجهد، والوقت، فمن مقترحات هذا البحث:

أ. دراسة منهجية الاستدلال العقلي المتعلق بهذه المسألة.

ب. تقديم دراسة اجتماعية لمناهج الاستدلال السابقة.

وفي الختام أرجو من الله العفو، والغفران، والعتق من النيران، والحمد لله.



المراجع

القرآن الكريم.
ابن عربي حياته ومذهبه، أسين بلاثيوس، ترجمه عن الإسبانية عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979م، د.ط.
ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي، محمد العدلوني الإدريسي دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م، ط2.
الاعتبار ببقاء الجنة والنار، تقي الدين أبو الحسن السبكي، وقفية الأمين غازي للفكر القرآني، د.ت، د.ط.
الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، عني به: أنس محمد عدنان الشرفاوي، دار المنهاج، بيروت، لبنان، 1437هـ-2016م، ط1.
الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن ابن القطان، تحقيق: حسن بن فوزي الصعيدي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1424هـ-2004م، ط1.
الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي، تحقيق: فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1998م، ط1.
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، ط15.
الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، 2002م، ط15.
البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر، 1407هـ-1986، د.ط.
التمهيد لقواعد التوحيد، أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ط1.

التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع، تأليف: أبو الحسن مُجَّد بن أحمد بن عبد الرحمن المملطي، قدم له وعلق عليه: مُجَّد زاهد بن الحسن الكوثري يطلب من مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة المعارف ببيروت، 1388هـ-1968م، د.ط.
الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشارك في تحقيق هذا الجزء: مُجَّد رضوان عرقسوسي، وغيث الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2006م، ط1.
الدر المنتور في التفسير المأثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2011م، د.ط.
الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله، أحمد بن حنبل، صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، الرياض، 1424هـ-2003م، ط1.
الرد على عدنان إبراهيم في زعمه فناء النار وأن الكفار مصيرهم إلى دخول الجنة، سعيد فودة، د.ت، د.ط.
الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: مُجَّد بن عبد الله السمهوري، دار بلنسية، الرياض، 1415هـ-1995م، ط1.
الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، أبو عمرو الداني، تحقيق: دغس بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد بن حنبل، الكويت، 1421هـ-2000م، ط1.
العقيدة الطحاوية بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، أبو جعفر الطحاوي الحنفي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1416هـ-1995م، ط1.
الفتوحات المكية، أبو بكر محيي الدين الحاتمي المعروف بابن عربي، تقديم: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، ط1.
الفرق بين الفرق، تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن مُجَّد البغدادي، دار الكتب العلمية،

بيروت، 1434هـ-2013م، ط5.
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جلال الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، راجعه وقدم له: سمير شمس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1431هـ-2010م، ط1.
الكشف والبيان المعروف تفسير الثعلبي، الهمام أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي، دراسة وتحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1422هـ-2002م، ط1.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة آيا صوفيا رقم (119) المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي بخفي باسطنبول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م، ط1.
المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة، كمال الدين محمد بن محمد الشافعي المعروف بابن أبي شريف المقدسي، والمسامرة لكمال الدين محمد بن همام الدين المعروف بابن الهمام، تحقيق: كمال الدين قاري وعز الدين معيش، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ-2004م، ط1.
المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت، د.ط.
الملل والنحل، تأليف: أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ضبطه وعلق عليه: كسرى صالح العلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، 1436هـ-2015م، ط1.
إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود، أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت، د.ط.
إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ-1969م، د.ط.

أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صدّيق بن حسين القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1307هـ-1889م، د.ط.
أسس العقيدة الإسلامية، تلخيص شرح التفتازاني لمتن (العقائد) لأبي حفص عمر بن مُجَدِّد النسفي، حمزة البكري، جامعة السلطان مُجَدِّد الفاتح الوقفية-كلية العلوم الإسلامية، اسطنبول، 2013، د.ط.
أصحاب النار ومصيرهم في الكتاب والسنة، سعيد عبد اللطيف فودة، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، الأردن، 1429هـ-2008م، ط1.
أصول الدين، أبو اليسر مُجَدِّد البزدوي، تحقيق: هانز بيتر لنس، ضبطه وعلق عليه: أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1424هـ-2003م، د.ط.
أصول العقائد في الإسلام، مجتبی الموسوي اللاري، تعريب: مُجَدِّد عبد المنعم الخاقاني، مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم، قم، 2008م، ط8.
أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر الشيرازي البيضاوي، تقديم: محمود عبد القادر أرناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، 2004م، ط2.
تأويلات أهل السنة المعروف بتفسير الماتريدي، مُجَدِّد بن مُجَدِّد بن محمود أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م، ط1.
ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، شمس الدين الذهبي، تحقيق: خالد بن سليمان بن علي الربيعي، الرسالة العلمية، بريدة، 1433هـ، د.ط.
تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، مُجَدِّد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، د.ط.
تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن مُجَدِّد السلامة، دار طيبة للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1420هـ-1999م، ط2.
تفسير المنار، مُجَدِّد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، 1947م-1366هـ، ط2.
تلقيّن شفهي، مُجَدِّد فهد خاروف الجامع للقراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية، الدرة، الطيبة، 08.02.2022.

تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تأليف: أبو بكر مُجَدِّد بن الطيب الباقلائي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م، ط1.
تهذيب التهذيب، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، د.ط.
جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، أبو جعفر مُجَدِّد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، 1422هـ-2001م، ط1.
<u>خطبة منشورة على اليوتيوب بعنوان (الدكتور عدنان إبراهيم/ نار جهنم باقية أم فانية؟)، عام 2012م</u> https://www.youtube.com/watch?v=focDJVOtXoE
دروس في التفسير تفسير جزء عم، يوسف القرضاوي، (نسخة إلكترونية)، الدوحة، 18 يونيو 2013.
رسائل ومقالات تبحث في مواضيع فلسفية وكلامية وفقهية وفيها الدعوة إلى التقريب بين المذاهب، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم، 1425هـ، ط2.
رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، مُجَدِّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: مُجَدِّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت/ دمشق، 1984م، ط1.
سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله مُجَدِّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ-2006م، د.ط.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن مُجَدِّد العسكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1413هـ-1992م، ط1.
شرح العقائد النسفية لأبي حفص عمر بن مُجَدِّد النسفي، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، علق عليه: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، مكتبة دار الدقاق، دمشق، سوريا، 1436هـ-2016م، د.ط.

شرح العقيدة الطحاوية في أصول الدين (2)، سعيد فودة، دروس منشورة على اليوتيوب بتاريخ 2018-2-24م.

https://www.youtube.com/watch?v=arX8Ey3FnJo&list=RDCMUClvweHDio4V1n7HYxqvH0vg&start_radio=1&rv=arX8Ey3FnJo&start_radio=1

شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، د.ت، د.ط.

شرح المواقف لعضد الدين عبد الرحمن الإيجي، الشريف علي بن مُحمَّد الجرجاني، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي على شرح المواقف، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، ط1.

طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدست عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: محمود مُحمَّد الطناحي وعبد الفتاح مُحمَّد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ، ط2.

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: مُحمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ط1.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مُحمَّد بن علي الشوكاني، اعتنى به: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007م، ط4.

فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم بن مُحمَّد الباجوري، وجوهرة التوحيد لإبراهيم بن إبراهيم بن حسن الملقب ببرهان الدين اللقاني، تحقيق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، دار الدقاق، دمشق، 1437هـ-2016م، ط2.

فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم بن مُحمَّد الباجوري، تحقيق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، مكتبة دار الدقاق، دمشق، سوريا، 1437هـ-2016م، ط2.

فصوص الحكم، ابن عربي، شرح: عبد الرزاق القاشاني، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م، ط1.

في لغة القصيدة الصوفية، مُجَّد علي الكندي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، 2010م، ط1.
قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، 1400هـ-1980م، ط1.
قواعد العقائد، نصير الدين الطوسي، تحقيق: علي الرباني الكلبيكاني، لجنة إدارة الحوزة العلمية، قم، 1416هـ، د.ط.
<u>كتاب المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعضاء ملتقى أهل الحديث، أعدده للمكتبة الشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeth.com (الكتاب مرقم آلياً، غير مطبوع).</u>
لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن مُجَّد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن المعروف بالخازن، تصحيح: مُجَّد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ط1.
لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين مُجَّد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين، نضال علي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م، ط1.
<u>لقاء مع عدنان إبراهيم على قناة NPO على اليوتيوب، https://www.youtube.com/watch?v=hbFlLjfluQw</u>
<u>لمسات بيانية، فاضل السامرائي، لقاء على اليوتيوب، https://www.youtube.com/watch?v=FQlkswDGBZY</u>
معارج التفكير ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، 1427هـ-2006م، ط1.
معالم التنزيل، المعروف بتفسير البغوي، أبو مُجَّد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: مُجَّد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، 1411هـ، د.ط.
معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن

عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ-1993م، ط1.
مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر البكري الرازي، قدمه له: هاني الحاج، حققه: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 2015م، ط3.
مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الشامية، د.ت، د.ط.
مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبو الحسن بن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ-2009م، د.ط.
مقالات أبي الحسن الأشعري، محمد بن الحسن بن فورك، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ-2005م، ط1.
مقالة أكاديمية بعنوان MUSTAFA MUSA CARULLAH BİĞİ ve Cehennem Azabının Ebediliği Sabri Efendi'nin Meselesine Yaklaşımları Üzerine Bir Değerlendirme مصطفى دمير، تأويلات، مجلة العلوم الإسلامية في جامعة سلجوق.
مقالة عنوان https://akhbarak.net/news/20986895/articles/38039227
مقالة من موسوعة الجزيرة نت، شخصيات، مصر، تم نشرها في 20.12.2014م https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/12/20
— Rahmet-i İlahiyye Bürhanları ve İnsanların Akide-i İlahiyyelerine Bir Nazar الإلهية، موسى جار الله بكيف، تحقيق: فرحات قوجا، تصميم: يونس أوزتورك وحافظ الله كنتش، دار أنقرة للنشر، أنقرة، 2019م، ط1.
TDV İslam Ansiklopedisi الموسوعة الإسلامية، أحمد قانلي دره، وقف الديانة التركية.

TDV İslam Ansiklopedisi الموسوعة الإسلامية، يوسف شوقي ياووز، وقف
الديانة التركية.

Yeni İslam Müctehitlerin Kıymeti İlmiyyesi القيمة العلمية
للمجتهدين الجدد في الإسلام، مصطفى صبري أفندي، دار الخلافة العلية مدرسه سي،
تحقيق: فرقان بن عبد الله، اسطنبول، 1442هـ-2021م، د.ط.

